
46
روايات عالمية للجيب
Looloo
www.dvd4arab.com
كتب الدم
تاليف : كليف باركر
ترجمة وإعداد :
د. أحمد خالد توفيق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدِّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلف



كما أن القصة القصيرة العالمية تنقسم إلى مدرستين : مدرسة (جى دى موباسان) ، ومدرسة (تشيكوف) ، فإن كتابة الرعب (المعاصرة) تنقسم إلى مدرستين كبيرتين : مدرسة (ستيفن كينج) ، ومدرسة (كليف باركر) . وربما يضم البعض إليهما بعض المدارس الصغيرة مثل مدرسة (دين كونتز) و(آن رايس) التى لا تمل الحديث عن مصاصى الدماء فيما يبدو .. لاشك فى أن (كينج) أكثر عمقًا وثقافة ، لكن (باركر) أكثر تجديدًا وابتكارًا .. وربما غرابة ..

كليف باركر كاتب ورسام إنجليزى ، ولد فى ليفربول عام 1952 ، وقد استطاع أن يصير اسمًا مهمًا فى

عوالم الكتابة للرعب ، فى وقت قصير نسبيًا ، وبعد ثمانية أعوام قضاها فى كتابة المسرحيات ، ثم صار مخرجًا مرموقًا لأفلام الرعب . بل إن (ستيفن كنج) قال عنه فى أريحية مهنية : «لقد عرفت مستقبل قصة الرعب .. إن اسمه كليف باركر» ، وهى كلمة لم يستطع التراجع عنها قط ، ولم ينسها النقاد كلما ذكر اسم باركر . المشكلة الأساسية بالنسبة للجمهور الأمريكى كانت هى تحمل اللكنة البريطانية (المزعجة) فى أفلامه ، وهى مشكلة لم تطل بعدما ارتحل باركر إلى (بيفرلى هيلز) حى النجوم فى هوليوود .

يقول باركر : « فى رأيى أن ما تحتاج إليه لتقدم الرعب هو الخيال وأصالة الرؤية .. يجب أن يكون لك قصد ما .. ليس الأمر مجرد بعثرة المؤثرات الخاصة على الشاشة مهما كانت بارعة .. »

مثلما فعل كينج أحيانًا ، قام باركر بكتابة الأفلام

وإخراجها ، والتمثيل فى بعضها - (الماشون نيامًا) و(الطريق الزئبقى) و(المحرم) - ونلاحظ أن ظهوره فى الفيلم الأول كان مجاملة مهنية لستيفن كينج .

لم يكن باركر مستجدًا على مهنة الإخراج ، ففى عام 1973 قام مع مجموعة من زملاء الجامعة بإخراج فيلمى (سالومى) عن مسرحية أوسكار وايلد و(المحرم) المقتبس عن قصة فاوست . وقد أخرج باركر الفيلمين كما قام بعمل المؤثرات الخاصة بنفسه . فيما بعد - بعد ما اشتهر باركر - تم استرجاع الفيلمين القصيرين .

قدم لنا أيقونات شهيرة جدًا للرعب مثل الياترينج وجاك (1986) : هنا قصة غريبة عن رجل يستحوذ عليه عفريت اسمه ياترينج أرسله الشيطان كى يصيب الرجل بالجنون . وسرعان ما يكتشف العفريت أن جاك له طرقه الفعالة لحماية نفسه .

فى نفس العام (1986) أخرج كليف باركر أول فيلم من أفلامه الذى صار واحدًا من كلاسيات الرعب

الحديثة (الغاضب) ، Hellraiser وهو عن قصة له اسمها (سجين الجحيم) .

ذرية الليل (1990) : تحت مستوى العالم الواعى توجد مدينة سرية اسمها ميديان ، حيث تحتشد الأرواح فى قبر عتيق وفى مجتمع اسمه ذرية الليل . القصة الأصلية هى (كابال) وقد أخرجها كليف باركر بنفسه للشاشة .

رجل الحلوى (1993) : قصة رهيبة تعلمنا ألا ننطق اسم رجل الحلوى (كاندى مان) خمس مرات متواصلة أمام المرآة .. إنه يعود دائمًا وتكون النهاية مريعة . أخرج القصة برنارد روز ، وقد تم عمل استطرادين لها فى أجزاء تالية .

سيد الأوهام (1995) : عن قصته (الوهم الأخير) أخرج باركر بنفسه هذا الفيلم . وهو ناجح جدًا فى مصر بالمناسبة .

هكذا نجد أن (باكر) هو مؤلف سينمائى بالمعنى

الحرفى للكلمة كما يستعملها الفرنسيون ، وهو قادر على الوصول للصيغة الأعلى لفنه ـ كما يراها ـ بتحويله إلى رؤى على الشاشة ، ولهذا كان من العسير الكلام عن أدبه دون الكلام عن أفلامه . المجموعة التالية من القصص القصيرة كتبها عام 1984 ، وقد حول بعضها لأفلام شهيرة ، وأرجو أن تروق لك .

د. أحمد خالد

هذه المجموعة من القصص لا تناسب بتاتًا من تقل سنهم عن ستة عشر عامًا .. ربما كانت هذه العبارة مستفزة وتغرى بالتحدى و(عدم الخوف) .. لكن المترجم يخلى مسئوليته على كل حال ..



لم يستطع الياترنج قط أن يعرف لماذا انتخبته القوى كى ترسله من الجحيم إلى (جاك بولو) .. وكلما أرسل لسيده يسأله : ماذا أفعل هنا ؟ كان يتلقى التوبيخ على فضوله .. ليس هذا ما يعنيه .. عمله أن يفعل أو يموت وهو يحاول ..

وبعد ستة أشهر من البحث عن (جاك) بدأ الياترنج يشعر بخطر الاندثار .. إن لعبة (المساكة) لا تفيد أحدًا .. كان الياترنج يخشى القروح ويخشى الجذام النفسى (وهو مرض يصيب الشياطين السفلية) ، كما كان يخشى أن يصاب بفقدان أعصابه فيقتل الرجل فى لحظة غضب .

من هو (جاك بولو) على أية حال ؟

مجرد شخص يستورد الخيار المخلل .. حياته منهكة وفهمه للسياسة بدائى ، وتدينه شبه معدوم ..

إن الرجل كان نكرة .. فلماذا يتعب نفسه مع أمثاله ؟

لم تكن هذه مسرحية (فاوست) ولم يكن الأمر يتعلق ببيع الأرواح .. هذا الرجل لا يهمه فى شىء أن يتلقى الإلهام الفلسفى .. سوف يهز كتفيه ويعود للخيار المخلل ..

إلا أن الياترنج ارتبط بهذا البيت .. حتى يدفع الرجل إلى الجنون . كانت مهمة طويلة إن كانت لها نهاية أصلاً ..

ظل (جاك بولو) أكثر الرجال جهلاً .. كان كذلك طيلة حياته .. فماذا يملك العفريت من فرص مع رجل مثل هذا ؟

كان الرجل سطحًا من الزجاج ، بينما العفريت كان يرغب فى أن يغرس مخالبه فى جراحه النفسية .. لكن مخالبه كانت تنزلق فى كل مرة ..

حتى المصائب فى حياته لم تبدل من لا مبالاته ..

« كى سيرا سيرا »(*)

(*) ما سيكون سيكون .

كان الرجل يردد هذه العبارة بانتظام .. وبدا كأنه يعيش بفلسفة قدرية تامة .. تاركًا الهجمات على رجولته وطموحه وكرامته تنزلق من فوق ذاته ، كما تنزلق قطرات المطر فوق رأسه الأصلع .

تركته زوجته سأمًا واتجهت إلى أحد الفنادق حيث انتحرت فلم يبال .. لذا قرر العفريت أن يتسلى عليه ببعض الحيل ..

لكن غياب الزوجة جعل البيت خاليًا فى النهار ، وقد ألقى هذا على الياترنج بعبء كبير من الملل .. الساعات من التاسعة حتى الخامسة كانت لا تطاق وهو وحده فى المنزل ، فكان يمشى من غرفة لأخرى راسمًا خططًا غريبة غير عملية للانتقام من هذا (البولو) ..

صار الوضع لا يطاق حتى إن وصول البريد كان يعتبر قمة الإثارة فى اليوم كله ..

حين يصل (جاك) يبدأ المرح .. كان الياترنج

يبدأ الروتين المعتاد للتسخين .. عند الباب كان يمنع مفتاح (جاك) من فتح القفل .. وتستمر المسابقة بعض الوقت ..

ثم يدخل (جاك) .. فتبدأ كل أغطية المصابيح تهتز .. لكن الرجل يتجاهل هذا الأداء ، مهما بلغ عنف الحركة ، ويغنى كى سيرا سيرا .

وفى الحمام يكون الياترنج قد عصر معجون الأسنان حول المرحاض ، وسد بالوعة الحمام بالمناشف الورقية وحتى تحت الدش كان يتعلق بالستارة ويهمس فى أذن (جاك) بأشياء مشينة .. كانت طريقة لا تفشل لأن العملاء كانوا يحسبون هذه الأشياء المشينة أفكارهم الخاصة .. من ثم يشمئزون من أنفسهم ويجنون ..

لكن هذه الطريقة كانت تفشل مع (جاك) ..

فى الحقيقة كان من الواضح من مجريات الأمور أن الياترنج هو من سينهار أولاً .. كان مرهقًا بحق ..

أيام بلا نهاية يضايق فيها القط ويقرأ الصحف (البائتة) ويشاهد التلفزيون .

ظل يعرق فى سجنه طيلة (يونيو) و(يوليو) و(أغسطس) .. ولم يظهر (جاك) أى اهتمام بتحرشات الياترنج .

لقد كان هذا محرجًا ، وقد بدأ الياترنج يفقد ثقته بنفسه .

بكى الياترنج .

صرخ الياترنج .

وفى نوبة غضب غلى الماء فى حوض سمك الزينة فسلق الأسماك .. لكن (جاك) لم ير ولم يسمع .

فى النهاية فى سبتمبر خرق الياترنج أولى القواعد ، وقدم التماسًا مباشرًا لسادته .

إن الخريف هو فصل مناسب للشياطين العليا .. وقد قبلوا الكلام معه .

سأله (بعلزبول) وصوته يسود الهواء :

- « ماذا تريد ؟ »

قال الياترنج فى عصبية :

- « هذا الرجل .. »

- « نعم .. »

- « هذا الـ (بولو) .. »

- « نعم .. »

- « لا أستطيع أن أخيفه .. لا أستطيع حتى إثارة اهتمامه .. أرجو أن تبعدونى عن تعاستى .. »

للحظة تبدى وجه (بعلزبول) فى المرآة فوق المدفأة :

- « ماذا تريد ؟ »

كان (بعلزبول) نصف دبور ونصف فيل .. لهذا ارتجف قلب الياترنج خوفًا .

ـ « أريد أن أموت .. »

ـ « لا يمكنك الموت .. »

ـ « أريد أن أستبدل .. »

ـ « لا يمكن .. »

ـ « لكنى لا أستطيع تحطيمه .. »

ـ « يجب أن تفعل .. »

ـ « ولماذا ؟ »

ـ « لأننا نأمرك بهذا .. »

ـ « ولكن لماذا هو بالذات ؟ »

ـ « لأن أمه وعدتنا بروحه لكنها لم تف بالوعد .. لقد خدعتنا .. لقد تابت عن ذنوبها وأفلتت من أيدينا ، وهربت إلى .... »

ولم يستطع أن ينطق الكلمة المحرمة التالية .. فأكمل الكلام :

ـ « يجب أن نتعقب (بولو) .. يجب أن يعاقب بذنب أمه .. ما من عقاب بالغ القسوة بالنسبة لأسرة خدعتنا .. »

توسل الياترنج :

ـ « أرجوك .. أنا مرهق .. »

ـ « هات الرجل أو ستتعذب بدلاً منه .. »

وتلاشى الخيال فى المرآة . فقال الياترنج لنفسه :

ـ « أين كرامتك ؟ الكرامة يا (ياترنج) .. الكرامة .. »

بدافع الإحباط التقط الياترنج القط وألقى به فى نيران المدفأة . فتفحم على الفور .

واستمرت العملية المؤلمة .. فلم يبد على الرجل ما يشير إلى الاستسلام .. وقد قتل الياترنج قطتين أخريين فى الأسابيع التالية .. جلبهما (جاك) لاستبدال قطته العزيزة التى صارت رمادًا ..

القطة الأولى أغرقها الياترنج فى المرحاض ، لكن

أثار غيظه كيف أن (جاك) حمل كتلة الفراء المبتلة ولفها فى منشفة ودفنها فى الفناء الخلفـى ، دون أن يلفظ حرفًا واحدًا ..

القطة الثالثة شعرت بوجود الياترنج من البداية ، وقد منح هذا الياترنج ساعات مسلية .. ثم فى النهايـة تخلص بعدما استفزه صوت مخالبها التى تشحذها على قطع الأثاث طيلة الوقت ..

وحين عاد (جاك) إلى البيت منهكًا فى المساء ، وقف متصلبًا يرمق الفوضى التى خلفها القط .. فراء قط . مخ قط . أمعاء قط فى كل مكان .. قال لنفسه فى اشمئزاز :

ـ « كلاب شريرة .. شريرة .. »

سر هذا الإنجاز الياترنج وراح يتواثب فى الشقة ويركل الأبواب ، ويقلب المزهريات .. أخذ الوسادة وصنع منها شيئًا يشبه الوحش الجائع إلى اللحم البشرى ..

لكن (جاك) اكتفى بجمع بقايا القط .

دفنه ثم دخل إلى الفراش لينام من دون وسادة .

كاد الياترنج يجن .. ولو كان هذا كل ما يفعله الرجل حين يجد قطته وقد انفجرت فى غرفة الطعام ، فما هى فرصة الياترنج ؟

بقيت فرصة أخيرة ..

إن الكريسماس قادم ، ولسوف تأتى ابنتا (جاك) إلى البيت ، وقد راح الياترنج ينتظر فى لهفة انتهاء الأسابيع الأخيرة من ديسمبر ، بينما كان (جاك) يعيش حياته كأنه مؤلف قصة يحاول ألا يقحم نفسه فى الأحداث . لكنه نظف حجرة ابنتيه واستبدل بالملاءات أخرى معطرة .. بل إنه وضع شجرة كريسماس فى حجرة الجلوس .

جاء الجليد .. وجاء الأطفال ينشدون أغانى الكريسماس ، فكان لطيفًا معهم .. على الأقل يمكن الاعتقاد لوقت قصير أن هناك سلامًا على هذه الأرض .

مساء الثالث والعشرين من ديسمبر جاءت الفتاتان محملتين بالهدايا .. وقد راقب الياترنج من المكان الذى اختاره لإدارة المعركة الابنة الصغرى (أماندا) .. لم تبد فريسة مفضلة للرعب .. بالأحرى كانت مرعبة هى نفسها ..

ثم جاءت أختها (جينا) بعد ساعتين .. فتاة أنيقة جميلة لاتقل خطرًا عن أختها ..

جاءتا للبيت بضوضائهما وضحكهما .. ألقيتا بقايا الطعام فى الثلاجة وأعادتا ترتيب الأثاث .. الخلاصة أن الياترنج شعر بأنه مريض ..

راح يصغى للضوضاء مختبئًا فى غرفة النوم ، واعدًا نفسه بالانتقام .

كان (جاك) فى غاية السعادة .. إنه منتش بابنتيه الجميلتين .. وهو يلعب دور الأب الفخور .. لكنه كان يشعر بالذنب بسبب تعريضهما لهذه المجازفة .. لو ألغى الكريسماس لأثار من حوله الظنون .. بل لربما أفسد خطته كلها وجعل العدو يتنبه إلى اللعبة التى يلعبها ..

كلا .. فلينتظر حتى يأتى الوقت المناسب للعمل ..

فى الثالثة صباحًا بدأ الياترنج أعماله العدوانية بأن قذف بـ (أماندا) من فراشها .. فركت عينيها ونهضت لتعود إليه فقط لتجد أن الفراش يهتز ويتأرجح ..

صحا البيت على الضوضاء وكانت (جينا) أول من دخل الغرفة :

- « ماذا هنالك ؟ »

- « شخص ما تحت الفراش .. »

- « ماذا ؟ »

التقطت (جينا) ثقل الورق وانحنت لتنظر تحت الفراش ..

- « لا يوجد شىء .. »

- « بل هناك .. هناك من فى الغرفة معنا .. »

دخل (بولو) المكان وتساءل :

- « ماذا يحدث هنا ؟ »

- « هناك شىء فى الغرفة يا أبى .. »

قرر أن يكذب .. هذا هو الوقت .. ويجب أن تكون كذبته معقولة جدًا :

- « أيتها الحسناوان .. هذه مجرد كوابيس .. لايوجد أحد .. سأفتش البيت لكن ابقيا هنا .. »

فتش البيت كنوع من الروتين ، ثم عاد إلى ابنتيه الجالستين على الدرج ، وقد بدت (أماندا) صغيرة شاحبة كأنها ليست فى العشرين ..

- « لا يوجد شىء .. »

هنا قرر الياترنج أن يطير المزهرية من فوق مدفأة غرفة الجلوس . ووثب (جاك) فى الهواء ..

كان بحاجة إلى النوم ، لكن من الواضح أن (الياترنج) لا ينوى تركهم فى سلام . قال لابنتيه :

- « كى سيرا سيرا .. إن البيت مال قليلاً جهة اليسار .. لا شىء غير هذا .. ربما كان هذا (بابا نويل) .. »

قالت (أماندا) :

- « ومن أدراك أن هذا ليس (بولترجايست)(*) ؟ »

- « نحن أشخاص بالغون لا نؤمن بالبعبع ولا تلك الأشياء التى تزحف فى الظلام .. »

(*) مصطلح ألمانى معناه (الأشباح التى تحدث صخبًا وفوضى) .

بعبع ؟ لقد تأذت كرامة الياترنج من هذه الكلمة . أن تصف قوى الظلام بالبعبع ..

لن تكون هناك رحمة بعد الآن .. سيكون هناك هلع .. سيكون هناك دم . سينهارون ..

* * *

كانت (أماندا) فى المطبخ تعد العشاء ، والمنزل يدوى بصوت الأنشودة : يا مدينة (بيت لحم) .. نحن مازلنا نرنو إليك ..

فجأة هبت ريح باردة أطفأت الموقد ، فاقشعرت الفتاة واتجهت لتغلق النافذة . هنا شعرت بوضوح تام بأن هناك من ينظر إلى ظهرها .. استدارت .. لا أحد .. لاشىء ..

وفى قاعة الجلوس كان (جاك) يمزح مع (جينا) بصدد شىء ما ..

فجأة دوى صوت عال كأنما هناك من يضرب بابًا بكلتا قبضتيه . وسقطت السكين من يد (أماندا) .. ثمة صوت آت من الفرن ..

أتراها أغلقت الفرن على شىء وهى تضع الديك الرومى ؟ نادت أباها والتقطت قطعة قماش ودنت من الموقد الذى كان يرتج بسبب ذعر السجين فيه ..

وصل (جاك) إلى المطبخ فقالت له :

ـ « هناك شىء فى الفرن .. »

كأنما كان ينتظر تفسيرًا .. كل شىء يهتز ويترجرج ..

أخذ منها قطعة القماش .. هذه جديدة .. يبدو أنك أبرع مما توقعت .. هذه بارعة وأصيلة ..

فتح الفرن فتصاعد البخار الساخن الحارق ، والديك الرومى بالداخل بدا أنه على غير استعداد لأن يؤكل .. كان يتواثب ويضرب بأجنحته وقد صنعت ساقاه ندوبًا على جدار الموقد ..

ثم شعر بالباب المفتوح ، ففرد جناحيه ووثب .. بلا رأس يتساقط منه الحشو والبصل فى كل مكان .. وراح يرفرف كأنما لم يخبر أحد الطائر البائس أنه ميت ..

صرخت (أماندا) ..

وثب الديك فى الهواء فى اللحظة التى خرج فيها الثلاثة من المطبخ وأغلقوا الباب ، فاصطدم بالباب وسال المرق من تحت الفتحة ثخينًا دسمًا .

وبينما (جاك) يسند الباب شعر بالسخط على ثقته بنفسه .. إن خصمه يخفى فى كميه حيلاً أكثر مما توقع ..

أما (أماندا) فكانت تبكى .. وكل ما استطاعت هو أن تنكر ما رأته .. راحت تردد : لا .. لا وتهز رأسها كأنه طلسم ضد الهول الذى مازال يضرب الباب من الداخل ..

ـ « ما هذا ؟ »

قال (جاك) :

ـ « لا أعرف .. »

ـ « هل أطلب الشرطة أم طارد الأرواح الشريرة ؟ »

ـ « لا أحد منهما .. »

كان يشعر أن الحرب بدأت .. الشبح كف عن الألعاب السخيفة وبدأ بالإيذاء الحقيقى لهم جميعًا .. تمنى أن يشرح لهما ، لكن لابد أن الشىء موجود هنا معهم يسمع ..

كان الياترنج الآن يستعد لضربة الخلاص ..

بعد قليل دخل إلى غرفة الجلوس فوجد (أماندا) نائمة على الأريكة بينما أختها تقرأ كتابًا بعينين لاتريان .. وأين مستورد الخيار المخلل؟ إنه فى الحمام يريح مثانته ..

هذا الوقت عبقرى ومناسب جدًا ..

عبر الغرفة .. وفى نومها رأت (أماندا) شيئًا يعبر مجال بصرها .. شيئًا خبيثًا .. شيئًا له مرارة فى الفم ..

ورفعت (جينا) عينيها عن الكتاب فرأت الكرات الفضية فى شجرة عيد الميلاد تهتز .. بل الشجرة كلها .. كل الشجرة تهتز ..

شعرت بتوتر ومدت يدها تهز أختها ، وصاحت فى حزم :

- « أبى .. »

سمع (بولو) شيئًا فجرى إلى قاعة الجلوس متوقعًا أن يجد كل كلاب العالم السفلى تحيط بابنتيه .. لكنه وجد أنها شجرة عيد الميلاد .. تهتز .. تهتز ..

نظر لابنتيه فوجدهما ترتجفان خلف الأريكة ..

- « أخرجا من هنا .. »

وإذ قال هذا كان التلفزيون قد بدأ يرقص على رجل واحدة .. وكذا السجاجيد .. ومحراك النار فى المدفأة .. وازدادت السرعة إلى درجة أن الأجسام الخشبية بدأت تلتهب وتصاعد الدخان فى الغرفة .. وغادرت الكتب رفوفها وراحت تتقافز فى المكان ..

وبعقله تخيل (جاك) العفريت يركض بين كل هذه الأشياء يحاول أن يحركها فى وقت واحد .. لابد أن هذا عمل شاق حقًا .. لابد أنه موشك على فقدان الوعى ..

ربما كان هذا هو الوقت الصحيح ..

هربت الفتاتان من الباب وقد امتلأ جلدهما بالإبر الصغيرة من شجرة عيد الميلاد ..

الآن بدأت الأشياء تفقد قدرتها على التحمل فانفجرت الشجرة .. ثم انفجر التلفزيون مرسلاً حاصبًا من الزجاج لينغرس فى الجدار المقابل .. وتمزقت الكتب الثمينة .. فاضطر إلى أن يعطى ظهره للغرفة وهو يغطى وجهه بكوعه .. كأنه جندى فى حقل قنابل ..

كانت (جينا) عند الباب تتوسل لأبيها كى يغادر الحجرة ، لكنه بدأ يستمتع بالمواجهة المكشوفة ..

هرع إلى الباب وخرج منه بينما أغلقت الفتاة الباب خلفه وصاحت :

ـ « ما هذا ؟ شبح ؟ بولترجايست ؟ شبح أمنا ؟ »

إن فكرة أن تكون زوجته المنتحرة هى المسئولة عن كل هذا ، بدت لـ (جاك) مضحكة بحق .

كانت (أماندا) تبتسم .. رباه ! إنها تفقد عقلها .. لقد انهارت أعصابها لأن الحكمة لم تستطع أن تجد تفسيرًا لكل هذا الجنون ..

سألته (جينا) :

ـ « ما هذا ؟ أنت تعرف .. »

ـ « لا أعرف .. »

ـ « بل أنت تكذب علينا .. »

ـ « أعتقد أننى .. سأتمشى قليلاً .. »

ـ « ماذا ؟ تمشى ؟ تتركنا هنا ؟ »

ـ « سأجد من ينظف هذه الفوضى .. أنا بحاجة لبعض الهواء .. »

صرخت الفتاة :

ـ « لكن انظر لـ (أماندا) .. إنها جنت تقريبًا .. »

لا لن ينظر لـ (ماندى) .. لو نظر لبكى .. وهذا سيفسد كل شىء .. ليس الوقت وقت انهيار أو ضعف ..

حاول فتح الباب لكن العفريت أغلق المزلاج .. أعاد فتحه فأغلقه العفريت ثانية .. كانت لعبة مخيفة ..

لا يجب أن يتمادى حتى لا يتمادى العفريت .. فتح المزلاج .. انغلق المزلاج .. فتح .. انغلق ..

كانت الفتاة وراءه تنظر ولا تفهم ما يجرى .. فقط فهمت أن أباها يخوض معركة مع شىء لا تراه .. اتجه للباب الخلفى لكن المفتاح دار فى القفل قبل أن يبلغه ثم طار فى الهواء وتهشم إلى غبار .. نظر إلى النافذة وعلى الفور أغلقت هذه وأسدلت الستائر ..

هنا كانت (جينا) قد فهمت خطة أبيها .. اندفع (جاك) كالمجنون نحو الباب الأمامى بينما كانت (جينا) قد أزاحت المزلاج .. وفتحت الباب .

لقد جن جنون الياترنج وهو يرى (جاك) يخرج من الباب .. كل ما تمناه أن يهشم جمجمته .. أن يفتك به .. لكن هذا ممنوع حسب القوانين .. ممنوع لمس الضحية ..

وقف (بولو) على الجليد الزلق .. فعوى الياترنج ونسى أعوام تدريبه .. لم يكن يريد إلا أن يقتل (جاك) ..

وهكذا عبر عتبة الباب .. وكان هذا خطأ لا يغتفر .. تعليماته تقضى بألا يغادر البيت أبدًا ..

سمع (جاك) صوت الماء المغلى إذ راحت خطوات العفريت تذيب الثلج .. كان قادمًا خلفه ! لقد حطم العفريت قوانين وجوده التى كان (جاك) يعرفها من قراءاته ..

حاول (جاك) فتح البوابة لكن العفريت أوصدها ..

أمسك برأس (جاك) بين كفيه وقرر أن يهشم العظام إلى غبار .

كانت اللمسة هى الخطيئة الثانية .. وقد تذكر الياترنج هذا بعد فوات الأوان .. وعرف عقاب ما ارتكبه .. معناه أن يصير عبدًا لهذا الأبله الذى يقف أمامه .

لقد ربح (بولو) المعركة .

الآن كان (بولو) يرى المعالم الخارجية للشيطان تتشكل فى الثلج .. كأنها صورة فوتوغرافية تتكون على الورق .. إن العقاب قد بدأ .. لن يتمكن الياترنج من الاختفاء عن عينى سيده مرة أخرى ..

ـ « أيها الوغد ! »

قال (بولو) بسلطة مطلقة :

ـ « لن تتكلم حتى أطلب منك .. هل تفهم ؟ »

ـ « نعم .. »

ـ « قل : نعم يا سيد (بولو) .. »

ـ « نعم يا سيد (بولو) »

وتدلى ذيله من خلفه كأنه كلب جلد بالسياط ..

ـ « لكنهم سيظفرون بك برغم هذا .. »

ـ « من هم ؟ »

ـ « أنت تعرفهم .. »

ـ « قل اسمهم .. »

أجاب في فخر :

ـ « بعلزبول .. قوى الظلام .. »

ـ « لا أظن .. ألم أبرهن على أننى أبرع منهم ؟ »

وافق العفريت فى مرارة :

ـ « بلى .. »

وبدأ يرتجف كأنه طفل ضل طريقه .. فقال (جاك) :

ـ « أنت تشعر ببرد .. يجب أن تعود للبيت وتبدأ تنسيق ما أتلفته .. »

ـ « فقط هذا ؟ لا تريد معجزات ؟ لا تريد أن تتزوج (هيلين طروادة) ؟ لا تريد الطيران ؟ »

كان (جاك) بسيطًا فى رغباته .. كل ما يريد هو أن يسعد مع ابنتيه وأن يجد موردًا جيدًا للخيار المخلل :

ـ « لا .. لا طيران .. »

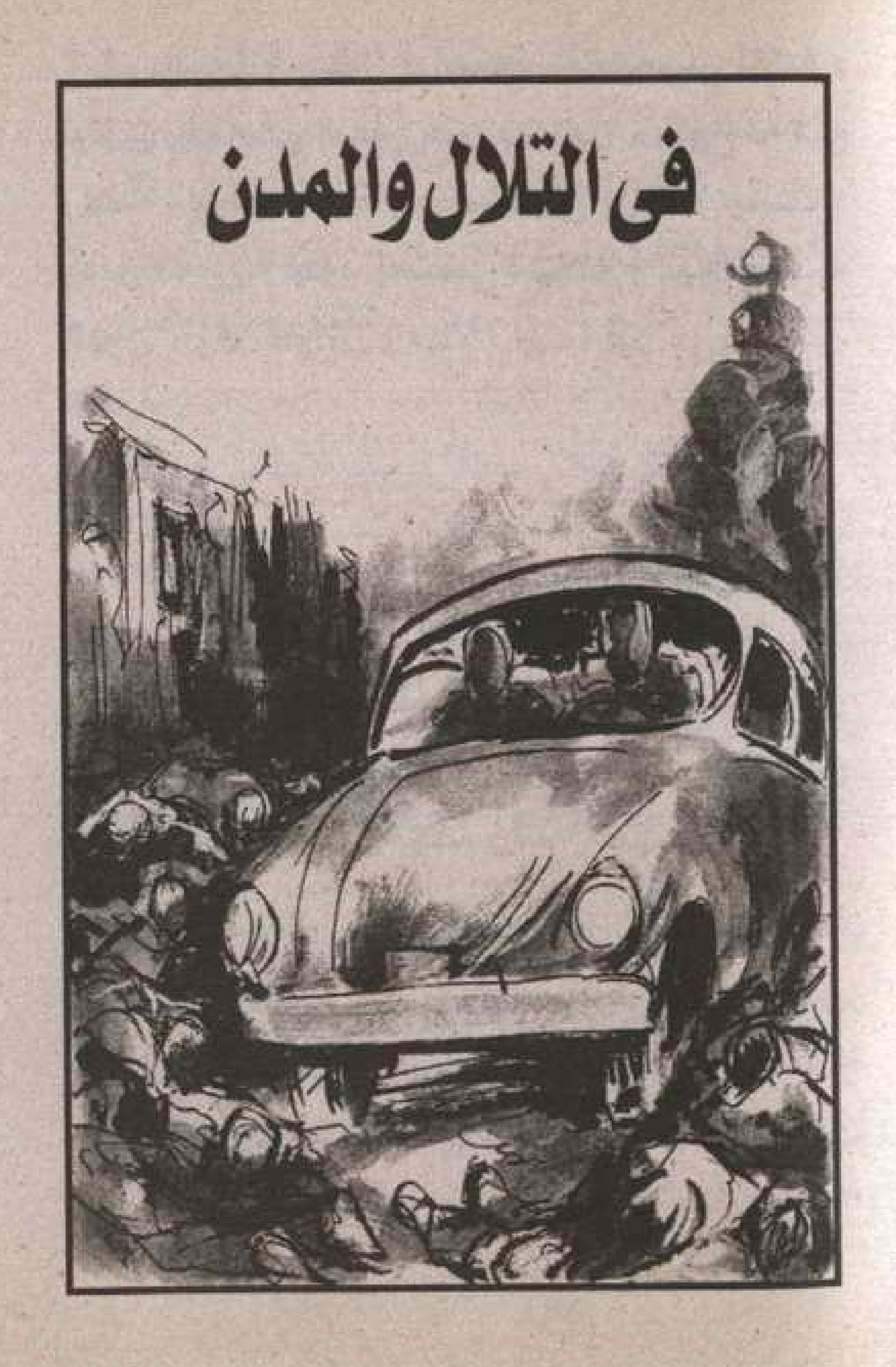
ثم ابتسم واتجه إلى الباب ، وقبل أن يدخل قال للعفريت :

ـ « هل تعرف ما أريد أن أقوله ؟ »

ـ « نعم .. كى سيرا سيرا .. »

ابتسم (جاك) وفتح الباب ودخل وبهدوء أغلقه فى وجه (الياترنج) .

* * *



لم يعرف (ميك) أى متعصب سياسى اختاره ليكون رفيقه فى السفر حتى مر أول أسبوع له فى رحلة (يوغوسلافيا) . لقد سبق أن أنذر بذلك ، وقيل له إن (جود) ينتمى لسلالة (أتيلا) ملك الهون ، وقد افترض (ميك) أن ما قيل هو من قبيل النكاية .

لو أنه فقط صدق الرجل ، لما كان الآن يقود سيارته فى طريق بلا نهاية ، بسيارة (فولكس) بدا له أنها ضيقة كالتابوت ، يصغى للرجل الذى يحكى له بلا نهاية عن التوسع السوفييتى .. رباه ! لكم كان مملاً .. لم يكن يتناقش بل كان يحاضر .. وكان (ميك) على وشك أن يهشم رأسه العنيد بالمطرقة .

لم يكن ضد كل ما قال (جود) .. بعض النقاط (تلك التى فهمها ميك) بدت معقولة جدًا .. لكن ما الذى يعرفه على كل حال ؟ لقد كان (ميك) مدرب رقص بينما (جود) كان صحفيًا .. وعلامة فى مهنته .

وكان يشعر كأكثر الصحفيين الذين قابلهم (ميك) فى حياته ، إن عليه أن يكون ذا رأى فى كل شىء تحت الشمس .. خاصة السياسة التى كانت خير بركة يتمرغ فيها . وكان كل شىء بالنسبة لـ (جود) سياسة .. التجارة .. الدين .. الشرب .. الأكل .. وحتى غازات البطن سياسة .

رباه ! لقد كان مملاً .. مملاً إلى حد لايطاق .. والأسوأ أن (جود) لم يبال قط بملل (ميك) .. ازداد كلامه تعقيدًا وطالت ثرثرته مع كل ميل يقطعونه ..

وقرر (مايك) أن (جور) وغد أنانى ولسوف يتركه فى أقرب فرصة .

ولم يفهم (جود) مدى ضحالة اهتمامات (مايك) بالسياسة ، إلا وهم يقطعون فى رحلتهم مدافن وسط أوروبا .. إن الفتى لم يبد أى اهتمام باقتصاد أو سياسات البلاد التى يعبرونها . كان يتثاءب وهو يجادله فى خطر الاتحاد السوفييتى على السلام العالمى . وكان عليه أن يواجه الحقيقة : (ميك) يملك عقل ملكة تتمرغ فى نقوش عصر النهضة والأيقونات اليوغوسلافية . لكنه

لا يبالى لحظة بالتناقضات والتعقيدات التى جعلت تلك الثقافات تزدهر ، ثم تضمحل . وعقله ليس أكثر عمقًا من مظهره .. إنه نكرة وسيمة المظهر لا أكثر ..

كان الطريق من (بلجراد) إلى (نوفى بازار) جيدًا بالمقاييس اليوغوسلافية . كان مستقيمًا وبه عدد أقل من المطبات . كانت مدينة (نوفى بازار) تقع فى وادى (راسكا) وما كانت منطقة يؤمها السياح بكثرة ، لكن (ميك) كان مصممًا على أن يرى الدير فى (سوبوكانى) غربى المدينة .

لم تكن الرحلة ملهمة لأن الحقول على الجانبين كانت مغبرة والصيف حارًا على غير المعتاد ، وقد تأذت قرى كثيرة بالجفاف . وكان هناك جو عام من الإحباط يخيم على الوجوه التى رأوها ، وحتى الأطفال كانت تعبيرات وجوههم قاسية وحواجبهم ثقيلة كأنها الحرارة التى تنصب على الوادى .

الآن كانا يقودان السيارة فى صمت ، لكن الطريق المستقيم كأى طريق مستقيم آخر ، كان يغرى بالبحث عن شىء يشغل العقل .. فماذا عن مشادة ؟

تساءل (جود) :

- « لماذا بحق الجحيم تريد أن ترى هذا الدير ؟ »

كانت دعوة واضحة للشجار ، فقال (ميك) الذى لم يكن فى مزاج قتالى :

- « مادمنا قطعنا كل هذه المسافة .... »

وبصوت حاول أن يجعله باردًا تناول الدليل وقرأ بصوت عال :

- « هنا بعض من أفضل أعمال الفن الصربى .. ومنها ما يتفق النقاد على أنه ذروة فن مدرسة (راسكا) .. »

قال (جود) فى ضيق :

- « كل شىء هنا تحفة فنية كما يقول هذا الكتاب اللعين .. »

- « إن هى إلا ساعة بعدها نواصل الرحلة وتحكى لى عن المعونات المالية للمزارعين فى (ساندزاك) .. »

- « أنـا فقـط أحـاول أن أدير محـادثة مفيـدة بـدلاً من هذا البحث الذى لاينتهى عن التحـف الفنيـة الصربية .. »

- « أوقف السيارة .. »

- « ماذا ؟ »

- « أوقف السيارة .. »

توقف (جود) بالسيارة (الفولكس) على جانب الطريق فغادرها (ميك) . كـان الطريق خاليًا من السيارات والمارة ، فاتجـه إلى جانب الطريق وجلس القرفصاء يتفحص شيئًا ما .

قال (جود) بصـوت غـاضب ، وهـو مـازال يأمل فى المشاجرة التى يشتهيها :

- « لماذا جعلتنا نتوقف ؟ »

كانت هناك نبتة صغيرة يمسك بها (ميك) وكانت موشكة على تكوين البذور .

قال (جود) :

- « سألتك سؤالاً .. »

عـاد (ميك) إلى السيارة وواصـلا رحلتهمـا .. كانت الرابعة بعد الظهر ومازالت أمامهما ساعة من القيادة حتى يبلغا (نوفى بازار) .

* * *

كان اليوم التـالى مشرقًا لكنـه غير دافئ . وكـانت رائحة الصباح حادة فى الأنف كأنها الفلفل أو الأثير .

كان (فاسلاف بيلوفسك) يرقب الحمام فى ميـدان (بوبـولاك) ، يعبـث مـع المـوت إذ يركـض بيـن عجلات السيارات المسرعة . وكـان يشعر بالشوق والإثارة مثله مثل أى طفل وأية امـرأة فـى البلـدة . ربمـا لهـذا يلعب الحمام بهـذا الخـرق لأنـه يتوقـع ألا يحدث له شىء مؤذ فى يوم كهذا .

بالفعل كانت أول المجموعات قد احتشدت فى الميدان ، وقد تغيب واحد أو اثنان بسـبب المرض لكن الاحتياطيين

كانوا جاهزين . فى كل مكان ترى معجزات التنسيق .. ياللحماسة ! كل واحد يعرف ما عليه بالضبط أن يفعله . لا تدافع ولا صراخ ..

لسوف يكون يومًا طويلاً .. لقد كان فى الميدان من قبل الفجر يشرب القهوة ، ويتابع تقارير الأرصاد من (بريستينا) و(متروفيكا) . وعبر الميدان يرى (مستنجر) قلقًا متعبًا مثله . لقد كانا صديقين ، أما الآن فهما خصمان ولن يتكلما حتى تنتهى المسابقة . عليهما اليوم أن يتصرفا كأنما لايعرفان بعضهما ، ولا يتبادلا حتى الابتسامات . لأن كل واحد لا يهمه إلا انتصار بلدته .

الآن ارتفعت قدم (بوبولاك) الأولى .. وتم التأكد من سلامة كل شىء .. ثم غادرت القدم الميدان وظلها يسقط على وجه البلدة .

يا لها من أيام .. يا لها من أيام ! أيام مليئة بالمجد والأعلام تكفى المرء عمرًا كاملاً .. كأنه تذوق مبدئى للجنة ..

دع أمريكا تنعم بمسراتها البسيطة .. تنعم بفئران الرسوم المتحركة والتكنولوجيا .. فهو لا يرغب فى هذا .. إن أروع شىء فى العالم هو هنا فى الجبال .

وفى بلدة (بودجيفو) لم يكن المشهد أقل حيوية .. برغم أنه كان ثمة إحساس بالحزن هذا العام .. إن (نيتا أوبرينوفيتش) المنظمة المحبوبة للمدينة قد توفيت .. لقد ظلت ستين عامًا تعمل مع مواطنى (بودجيفو) وتخطط للمسابقات التالية . وكانت لديها دومًا أفكار تجعل العرض القادم أكثر إمتاعًا . وقد حاولت ابنتها أن تتولى دور أمها ، لكنها كانت تفتقر إلى قدرة أمها المغناطيسية على جعل الناس يعملون .

كانت مهمة كهذه تحتاج إلى قائد هو خليط من نبى ومدير حلبة .. ربما بعد عقود وبعد مسابقات أخرى ، تستطيع ابنة (نيتا أوبرينوفيتش) أن تنجح ..

على كل حال ـ فى الثامنة وست دقائق ـ غادرت أول قدم من (بوديجوفو) خارجة من المدينة إلى مكان التجمع حيث تنتظر زميلتها .

* * *

استيقظ (ميك) فى السابعة . برغم أنه لم يكن هناك منبه فى غرفتهما المفروشة ببساطة فى (بيوجراد) . رقد فى الفراش يصغى لتنفس (جود) المنتظم فى الفراش المجاور . ضوء خافت دخل من الستائر لا يغرى بالخروج المبكر . اليوم يذهبان إلى (كوسفسكا ميتروفيكا) .. هناك سوق وربما متحف .. ثم الجبال .. نعم .. اليوم لابد من أن يرى الجبال .

كانت الساعة الثامنة والربع .

الآن استعدت أطراف المدينتين للالتحام بالأجساد . وضع (فاسلاف بيلوفسك) يده فوق عينه ليتقى الشمس ، وتفقد السماء . ليس يومًا مناسبًا جدًّا للمسابقات لكنه كاف ..

تناول (ميك) و(جود) الإفطار المكون من اللحم والبيض مع عدة أقداح من القهوة السوداء الجيدة . كانا الآن ينويان زيارة (كوسوفسكا ميتروفيكا) فى وقت الغداء ، وربما زيارة قلعة (زفيكان) فى العصر . وفى التاسعة والنصف غادرا (بزار نوفا) ..

كان الطريق خاليًا اللهم إلا من بعض المارة وسط تلال أحاطت الغابات الكثيفة بجوانبها . لم تكن هناك صورة للحياة البرية إلا من خنزير أو آخر يعبر الطريق .

فى البداية كان غياب البشر مبهجًا ، لكن ما إن انتصف النهار حتى بدأ شعور بعدم الراحة يغمرهما .

ـ « أما كان يجب أن نرى علامة طريق إلى (متروفيكا) يا (ميك) ؟ »

نظر للخارطة وغمغم :

ـ « ربما .. »

ـ « إذن أخطأنا الطريق .. »

ـ « كيف نخرج من هذا الطريق اللعين ؟ هناك منحنيان .. »

ـ « هل معك سجائر ؟ »

ـ « انتهت منذ ميلين .. »

كان الطريق يزداد سوءًا . المطبات كأنها حفر تفصلها رواب تحت العجلات .. قال (جود) :

- « حسن .. سنأخذ المنحنى التالى .. أى شىء أفضل من هذا .. »

ثم ظهر منحنى .. ليس طريقًا بالضبط لكنه مخرج من الطريق الذى بلا نهاية والذى ينطلقان فيه .

قال (جود) :

- « لقد صارت رحلة (سافارى) حقيقية .. »

- « أين حاسة المغامرة عندك ؟ »

- « نسيت أن آخذها معى .. »

كانت (الفولكس) تصعد التل الآن .. وعبر ثعلب الطريق وراقب لوقت طويل إذ تندفع السيارة نحوه ، ثم ابتعد فى كبرياء كأنه أمير لا يعرف الخوف ..

فى هذه اللحظات التحمت بقية الأطراف خارج ميدان المدينة .

لقد صارت المدينة خالية بالكامل . لم يبق حتى المرضى والشيوخ .. لم يحرم واحد من متعة المسابقات . خرج الجميع حتى المعوقين والمكفوفين والأطفال والنسوة الحوامل . كان القانون يرغمهم على الحضور لكن لم يقتض الأمر إرغامًا لأنه ما من مواطن فى المدينتين رغب فى أن يضيع الفرصة .

يجب أن تكون المواجهة شاملة .. مدينة ضد مدينة .. هكذا كان الأمر دومًا ..

عند الظهيرة كان الحشد مكتملاً .. مواطنو (بويولاك) و(بوديجيفو) .. وسط التلال التى تخفى السر بعيدًا عن العيون المتحضرة ..

عشرات ألوف القلوب تنبض بسرعة .. عشرات ألوف الأجساد متوترة .. خطواتها تهشم الأعشاب وتقتل الحيوانات الصغيرة .. التلال تردد صوت خطواتهم ..

فى جسد (بوديجيفو) كانت هناك مشاكل .. فالخصر لم يكن يتحرك جيدًا ولذا كان هناك عبء كبير على

هذا الموضع من المدينة ، لكن تم التعامل معه برجولة ، فالمسابقة كانت تهدف إلى أن يصل المتسابقون إلى حدود الاحتمال .. إلا أن نقطة الانهيار كانت قريبة أكثر ما يجرؤ أحدهم على التفكير . وكان موسم الحصاد السيئ قد أدى إلى أن تكون الأجسام أضعف والإرادات أوهن . لم يكن الخصر الضعيف وحده مصدرًا للخطر لكن ضعف المتنافسين كان ينذر بمشهد هلاك لا يمكن تصوره .

★ ★ ★

أوقف الشابان السيارة .

ـ « هل تسمع هذا ؟ »

لم تكن أذنا (ميك) على ما يرام منذ مراهقته بسبب إدمانه موسيقا الروك . وغادر (جود) السيارة .. إن الضوضاء التى سمعها لم تكن مجرد صخب .. كانت رجرجة فى قلب الأرض ذاته .. فى منابت الجبال .

هل هو رعد ؟ ؟ لا .. إنه منتظم أكثر من اللازم . وسمعه (ميك) بدوره فأطل من نافذة السيارة .

ـ « ما هذا بحق السماء ؟ أيًا ما كان فأنا راغب فى رؤيته »

ابتسم (جود) وهو عائد إلى السيارة :

ـ « يبدو كأنه صوت مدافع .. مدافع عملاقة .. »

عبر عدسات نظارته المقربة ، رأى (فاسلاف بيلوفسك) المسئول عن البدء ، يرفع مسدسه . رأى الدخان الأبيض يخرج من الفوهة ثم سمع الصوت يتردد عبر الوادى .

لقد بدأت المسابقة .

كان المشهد رهيبًا .. هنا مدينتان تستعدان للخطوات الأولى للقاء فى هذه المعركة الطقوسية .

ومن بين المدينتين تبدو (بوديجيفو) أقل ثباتًا .. وقد رفعت المدينة قدمها اليسرى لتبدأ الزحف .. لا مشكلة إلا فى صعوبة تنسيق الحرقف مع عضلات

الفخذ . بعد خطوتين وجدت المدينة الأمر أسهل ، وبدأت تتسق حركة الناس كأنهم واحد .

ـ « هل سمعت طلقة ؟ »

كان هذا سؤال (جود) .

فهز (ميك) رأسه .

ـ « هل تدريبات جيش ؟ »

وابتسم وقد تخيل عناوين الصحف : مناورات عسكرية سوفييتية فى قلب (يوغوسلافيا) .. بعيدًا عن عيون الغرب . بشىء من الحظ يمكنه أن يظفر بهذا التحقيق .

بوم ! بوم !

هناك طيور فى السماء والرعد أعلى الآن .. يبدو كأنه صوت مدافع .

قال (ميك) :

ـ « لا أظن أنه من الخير أن نقترب أكثر .. »

ـ « يجب أن أرى ما هنالك .. »

ـ « ليس من المفترض أن نكون هنا .. »

ـ « أنا لم أر أية علامات أو لافتات إنذار .. »

وكانت الكلمات قد خرجت من فيه بصعوبة حين بدأ الصراخ ..

★ ★ ★

كانت (بوديجيفو) تصرخ صرخة الموت .. هناك من مات من الضغط فى الخصر الضعيف ، وقد بدأ نوع من التفكك فى المنظومة . هناك من تخلى عن جاره وجاره تخلى عنه ، وتهاوى تكوين البرج بسرعة مخيفة ، بينما كان فشل أى جزء تشريحى يلقى بحمل لا يوصف على الأجزاء الأخرى .

إن التحفة التى صنعها مواطنو (بوديجيفو) من لحمهم ودمهم تعثرت ، ثم هوت كأنها ناطحة سحاب فجرت بالديناميت ..

راح الخصر المهشم يبصق الناس كأنه شريان مقطوع ينز الدم .. ثم هوى إلى الأرض بينما ارتخت أطرافه الأربعة . وتهاوى الرأس العملاق الذى كان يلمس السحب منذ قليل ، على عنقه . وصرخ عشرة آلاف فم صرخة واحدة كأنها توسل إلى السماء .

كيف ينتهى اليوم الأعظم .. يوم الأيام .. بهذه الصورة وسط الأجساد المتساقطة ؟

- « هل سمعت هذا ؟ »

كان صوتًا بشريًا بلاشك .. لكنه عال بشكل يصم الأسماع . وتقلصت معدة (جود) ونظر إلى (ميك) الذى كان شاحبًا كالملاءة ..

وأوقف (جود) السيارة . فقال (ميك) :

- « لا .. »

كان صوت الأنين والصراخ يتعالى . وكان دانيًا جدًا . كان (جود) الآن متأهبًا لمشهد عسكرى مهيب كأن يرى كل الجيش الروسى هناك عند الهضبة التالية .

لكن هذه الصرخات بدت له بشرية جدًا .. ذكرته بتصوراته فى طفولته عن الجحيم .. لقد نسى هذه المخاوف منذ عشرين عامًا ، لكنها الآن تعود له طازجة .

قال (ميك) :

- « لو لم تقد أنت السيارة فسوف أقودها أنا .. »

وغادر السيارة ووقف أمامها .. بعد لحظة تردد التمعت عيناه بعدم التصديق . استدار إلى الزجاج الأمامى ووجهه أكثر شحوبًا مما كان وصاح :

- « رباه !! »

بصوت ملأه الغثيان الذى حاول أن يسيطر عليه . وكان صاحبه مازال جالسًا هناك يجتر الذكريات .

- « جود ! »

رفع عينيه ليجد أن الطريق قد أظلم على بعد أمتار من العربة .. كأنه المد يزحف عليها .. مدًا كثيفًا من الدماء . حاول أن يجد تفسيرًا لما يراه فلم يستطع ..

هذا بالفعل دم .. لا يوجد تفسير أكثر تعقلاً .. دم بلانهاية ولا حدود ..

وثب (ميك) إلى المقعد الجانبى للسيارة .. ولمعت عيناه .

- « تراجع .. »

بحثت أصابع (جود) عن الاشتعال .. كان مد الدم قد بلغ العجلات الأمامية وأمامهما صار لون العالم أحمر . لكنه لم يحاول تشغيل العربة .

- « لابد من أن نرى .. لابد .. »

- « لا يوجد شىء نفعله إلا الابتعاد حالاً .. هذا لا يعنينا فى شىء .. »

- « تحطم طائرة ؟ لا دخان .. »

لكن (ميك) كان راغبًا فى الرحيل حالاً .. بوسعه أن يقرأ عن المأساة فى الصحف .. يمكنه أن يرى الصور غدًا .. اليوم كل شىء طازج ولا يمكن التكهن به .. أى شىء يمكن أن يكون فى نهاية هذا الطريق الدموى ..

أدار (جود) المحرك ، بينما جواره راح (ميك) يئن بصوت خفيض . وانطلقت الفولكس وسط الماء وعجلاتها تنزلق .. قال (ميك) :

- « أرجوك .. لا . »

قال (جود) :

- « بل يجب .. يجب .. »

★ ★ ★

على بعد بضع ياردات ، أفاقت مدينة (بوبولاك) من الصدمة ، وبألف عين راحت تنظر إلى بقايا عدوتها .. التى تكومت على شكل جبل من الأجساد فوق الأرض . راحت تمشى مبتعدة وأقدامها تهشم الغابة وذراعاها تضربان الهواء . لكنها احتفظت بتوازنها برغم الهلع الذى بدأ يغزو القلوب .

وإذ مشت عبر برجها بين السيارة والشمس فألقى بظله البارد .. لم ير (ميك) شيئًا بين دموعه ، و(جود) لم يلحظ إلا أن الشمس توارت للحظة .. ربما كانت سحابة عابرة ..

فلو أنه نظر لأعلى فى تلك اللحظة لرأى رأس (بوبولاك) .. الرأسُ المزدحم للمدينة المجنونة يتجه نحو التلال . لو نظر لعرف أن هذه البلاد تتجاوز قدرته على الفهم .. ولعرف أنه لا يوجد ما يمكن عمله فى هذا الركن من الجحيم . لكنه و(ميك) أضاعا آخر فرصة لهما .. ومن هذه اللحظة لم يعد لديهما أى أمل فى الحياة .

دارا حول المنحنى ، فرأيا خرائب (بوديجيفو) .. لم يتصور خيالهما وجود مشهد بهذه الوحشية قط .. كانت جثث رجال ونساء وأطفال تختلط معًا . كان مشهدًا يفوق مبدأ الغثيان .. أمامه يبطئ العقل إلى سرعة البزاقة .. تبحث عن كلمة تقولها لنفسك : هذا لا يحدث .. هذا حلم بالموت وليس الموت نفسه .

لكن المنطق لا يجد ثغرة فى هذا الجدار ..

لقد سقطت مدينة (بوديجيفو) .

ستة وثلاثون ألف مواطن وسبعمائة انتثروا على

الأرض .. هؤلاء الذين لم تقتلهم السقطة أو الاختناق كانوا يحتضرون على كل حال . لم يبق إلا المعوقون الذين بقوا يراقبون المشهد ، وكانوا الآن ينظرون إلى هذا المشهد الوحشى محاولين ألا يصدقوا ..

كان (جود) أول من خرج من السيارة .. لم يكن من حطام طائرة .. لا نيران .. لا رائحة وقود . لكن كومة من الأجساد أكثرها يرتدى دروعًا حول الصدور والدروع تتصل بحبال بالغة الطول ، وكلما نظر (جود) أكثر دهش لهذا النظام الغريب الذى يربط بين الأجساد وبعضها .

لسبب ما تم ربط هؤلاء القوم بالحبال ، والبعض كان يركب على ظهر جاره . والبعض كان فى كرة كبيرة غاصت الرءوس فى داخلها .

دوت طلقة أخرى ..

نظر (ميك) لأعلى ..

بين الأجساد كان رجل يلبس معطفًا ويحمل مسدسًا

فى يده .. دنا منه (ميك) وصاح بصوت عال بسبب الضوضاء :

- « ما هذا ؟ »

نظر له الرجل بوجه رمادى مثل معطفه .

- « آه ؟ »

وقطب جبينه من خلف عويناته الغليظة وهو ينظر للقادمين . فصاح فيه (ميك) :

- « ماذا جرى ؟ »

كان من الجميل أن يصرخ .. من الجميل أن يبدو غاضبًا .. كان بحاجة إلى شخص ما يلومه . وشعر بالصوت يختنق بالدموع :

- « باللّه عليك قل لى .. »

لم يفهم الرجل كلمة مما يقول المعتوه الشاب ، لكنه فهم أنه يتكلم الإنجليزية . مشى نحوه (ميك) شاعرًا بعيون الموتى تنظر له . آلاف العيون .

عند قدميه شعر (ميك) بمن يحاول الوصول إليه .. لم يرد أن ينظر لكن اليد لمست حذاءه فاضطر إلى النظر . شاب يرقد فى وضع مستحيل كأنه صليب (سواستيكا)(*) .. وأراد (ميك) أن يأخذ مسدس الرجل كى يمنع الشاب من الإمساك بساقه .. بل إنه أراد قاذف لهب ليمحو كل هذا الرعب ..

نظر إلى ذى المعطف فوجده يضع فوهة المسدس فى فمه ويطلق الرصاص .. ثم يسقط على الأرض ..

صاح (ميك) قائلاً الكلمات للا أحد :

- « يجب أن .. أن .. »

قال (جود) من خلفه :

- « يجب أن .. نساعد .. »

- « يجب أن نرحل .. »

كانت هذه هى الكلمة التى يريد قولها .. نرحل .. نبتعد عن كل الأيدى المحتضرة ..

(*) صليب سواستيكا هو الصليب النازى المعقوف .

- « لابد من رجال دين .. »

كان من غير المعقول أن تؤدى الصلوات الأخيرة على كل هذا الحشد .. سيحتاج هذا إلى جيش من رجال الدين .. سيحتاج إلى مكبر صوت لتلاوة الصلوات ..

عاد الرجلان إلى السيارة .. لكنها كانت محتلة ..

كان (فاسلاف بيلوفسك) يجلس خلف عجلة القيادة يحاول تشغيلها .. دارت فى المرة الثالثة فعاد بها القهقرى .. ورأى الرجلين يهرعان نحوه وهما يشتمان ..

لم يكن راغبًا فى سرقة العربة لكنه كان الحكم .. وكانت عليه واجبات .. لقد هلكت مدينة وعليه أن يمنع الأخرى من أن تلاقى نفس المصير . يجب أن يلحق بـ (بوولاك) ويتكلم معها .. لو فشل لحدثت كارثة أخرى ، ولكان عليه أن يواجه ضميره ..

جرى (ميك) نحو (الفولكس) وهو يصرخ ، لكن

(فاسلاف بيلوفسك) لم يبال به وهو يعالج مسار العربة فى الممر الضيق .. فى النهاية بدأ (ميك) يفقد قدرته على الركض فتوقف وثنى ظهره ، ويداه على ركبتيه .

صاح (جود) :

- « الوغد ! إنه لا يستطيع أن يقود جيدًا .. »

- « يجب أن نلحق به .. على القدمين . »

- « كيف ؟ نحن لا نملك خارطة .. إنها فى السيارة .. »

- « يا إلهى العلى القدير ! »

وراحا يتبعان آثار العجلات الدموية على الأرض . وقال (جود) :

- « إنه يتجه إلى اليسار نحو الجبال .. »

- « لابد أنه جن .. »

قال (جود) :

ـ « ألا ترى يا (ميك) ؟ كلهم كان يعرف أن هذا سيحدث . لقد غادر الناس مزارعهم .. لن تكون هناك سيارات .. لن يمر أحد إلا سياح حمقى مثلنا .. وأؤكد لك أنه ما من سائح سيتوقف لنا .. »

كان محقًا .. كانا الآن يبدوان كالجزارين غارقين فى الدم .. وعيونهما مجنونة تمامًا .

ـ « يجب أن نمشى فى نفس الاتجاه الذى مشى فيه .. »

وأدرك (ميك) أن أمامهم ليلة فى التلال .. لكنه كان يريد أن يبتعد بأسرع وقت ممكن عن أرض الموت هذه ..

* * *

وفى (بوبولاك) خيم جو من السلام .. بدلاً من الهلع والجنون بدأ نوع من تنميل الذهن .. قبول العالم كما هو كالخراف ..

هم مربوطون حيث هم بالحبال ، كل واحد إلى صاحبه فى نظام محكم لايسمح بأن يعلو صوت على الآخر ..

صاروا فكرة واحدة .. هدفًا واحدًا .. صاروا ذلك العملاق الذى حاولوا ببراعة أن يأتوا به إلى الوجود .. لقد ذابت الفردية فلم يعد إلا وجدان جمعى ، أذاب ألف صوت فى أمر واحد لايقاوم ..

وكان هذا الأمر يقول : امضوا !

ومشت (بوبولاك) نحو التلال بخطى اتساعها نصف ميل .. وقد خيمت على الجميع فكرة واحدة ..

إنهم لايموتون .. صاروا كيانًا عملاقًا مجنونًا يحسب أنه لايموت ..

شم (ميك) و(جود) رائحة البترول .. فلما اقتربا وجدا أنها (الفولكس) قد سقطت فى خندق على جانب الطريق .. لكنها لم تحترق .

كان باب السائق مفتوحًا ومنه خرج جسد (فسلاف) غائبًا عن الوعى .

أخرجا اللص من السيارة وأرقداه على جانب الطريق ..

فجأة فتح عينيه ونظر لهما .. فسأله (ميك) :

ـ « هل أنت بخير ؟ »

للحظة بدا أن الرجل لا يفهم ، ثم قال :

ـ « إنجليزيان ؟ »

كانت لهجته ثقيلة لكنها مفهومة ..

ـ « نعم .. هل هناك ما يؤلمك ؟ »

بدا أن الرجل وجد هذا مسليًا :

ـ « يؤلم ؟ أنا أموت .. »

ـ « لا .. أنت بخير .. »

هز الرجل رأسه .. كانت سلطته مطلقة . وقال فى ثبات وتصميم :

ـ « سأموت .. »

قال له (جود) وهو يهزه كى يبقى عينيه مفتوحتين :

ـ « قل لنا ما الذى يحدث هنا ؟ »

ـ « حدث ؟ كان انهيارًا .. مجرد انهيار .. »

ـ « ما الذى انهار ؟ »

ـ « مدينة (بوديجفو) .. »

ـ « سقطت من أى شىء ؟ »

ـ « من نفسها طبعًا .. »

لم يكن الرجل يجيب بشىء مهم .. فقط يرد على لغز بلغز آخر ..

سأله (ميك) محاولاً ألا يكون عدوانيًا أكثر من اللازم :

ـ « إلى أين أنت ذاهب ؟ »

ـ « إلى مدينة (بوبولاك) .. »

تردد الرجل بين الموت باللغز أم الكلام .. ما جدوى الصمت ؟ إن المسابقات لن تقام ثانية أبدًا ..

قال بصوت ناعم :

ـ « (بوبولاك) و(بوديجفو) تتقابلان للصراع كل عشرة أعوام .. »

- « هل تعنى أن هؤلاء هم ضحايا المصارعة ؟ »

- « لا .. قلت لك إنهم سقطوا .. »

- « أين ؟ »

- « فى الجبال .. تتصارع المدينتان فى شكل عملاقين .. يصنع الناس جسدًا عملاقًا من أجسادهم .. العينان .. الأنف .. الفم كل شىء .. »

قال (جود) :

- « الرجل يخرف .. »

- « اذهبا إلى الجبال لتريا ما إذا كنت أخرف .. »

وأضاف (فاسلاف) :

- « كانوا بارعين فى اللعبة .. وفى كل عشرة أعوام كان الشكل يتحسن ويصير أكبر .. الحبال تربط الناس .. أوتار .. أربطة .. طعام فى بطنه .. أنابيب لتصريف الفضلات .. »

- « الأقوى بصرًا كانوا يجلسون فى العين .. والأقوى

صوتًا كانوا يجلسون فى الفم .. ما كنت لتصدق هذه البراعة الهندسية ، إنه جسد المدينة إنه شكل حياتنا .. »

ساد الصمت ، ومرت سحب صغيرة فوق الطريق ..

قال الرجل :

- « كان معجزة »

وكأنه أدرك ضخامة الشىء لأول مرة فى حياته .

كان قد قال ما يكفى .. لذا أغمض عينيه ومات .

لكن (ميك) ظل غير قادر على تصديق هذا الذى سمعه .

الآن جاء الغسق ..

لم تعد (بوبولاك) قادرة على التقدم أكثر .. فقد دب الإرهاق فى كل عضلة .. وبدأت بعض الوفيات هنا وهناك فى جهازها التشريحى العملاق .. لكن لم يكن الجسد يحزن على خلاياه الميتة .. كان الموتى يتركون ليسقطوا على الغابات تحت ..

بزغت النجوم وجاء الليل يداوى برحمة جراح

النهار . لكن العملاق واصل المسير حتى أحاط سواد الليل برأسه . لن يطول الوقت حتى يجد أحد الأودية فينام فيه ويموت .

أراد (ميك) أن يدفن لص السيارة ، لكن (جود) أفهمه أن هذا سخف .. أن يشغلا نفسيهما بجثة واحدة بينما هناك آلاف الجثث على بعد ميلين من هنا ..

تركا الجسد حيث هو ، والسيارة كى تغرق فى المستنقع .

وواصلا المشى ..

كانا يشعران ببرد ، وكانا جائعين ، لكن المنازل التى مرا بها كانت مهجورة مغلقة . وتساءل (ميك) وهو ينظر إلى باب مغلق :

ـ « ماذا كان يغنيه ؟ »

ـ « كان يتكلم بلغة المجاز .. كل هذا الكلام عن العملاقين .. »

ـ « لكننى أحسبه كان يقول الحق .. »

ـ « هذا سخف .. »

وشعر (جود) أنه يكره (ميك) فى هذه اللحظة .. يكره سذاجته واستعداده لتصديق أية قصة . وهذه ؟ كانت هذه أسخف القصص طرًا . قال لصاحبه :

ـ « إلى أين نمشى ؟ نحن فقط نتوغل فى التلال .. »

ـ « أنت حر .. لكننى سأستمر فى المشى .. »

كان الليل مريرًا خاليًا من السحب . وقد مشيا وهما يرتجفان بردًا ، وقد رفعا ياقتيهما لتغطيا العنقين .

وفى الحادية عشرة مساءً رأيا ضوء نافذة من بعيد .

لم تبتسم المرأة فى الكوخ الحجرى ، لكنها فهمت حالتهما وسمحت لهما بالدخول . لم يكن من جدوى من محاولة شرح ما رأياه للمرأة أو زوجها المشلول . لم يكن هناك هاتف ولا سيارة ، وحتى لو استطاعا الشرح فما من شىء يمكن عمله .

أكلا حساء بازلاء ثخيناً مع البيض ، ولم ينسيا أن يبتسما للمرأة شاكرين .. كان الطعام جيداً أنعش روحيهما وقدرا أنهما سينامان للصباح ثم يستمران فى رحلة العودة .. فى الصباح ستكون هناك سيارات إسعاف وطائرات هليكوبتر .. كل طقوس الكوارث المتحضرة ..

وفى الوقت ذاته سيكون بوسعهما ابتلاع هذا وفهمه .. ستكون ذكرى أليمة عن كارثة لكنهما على الأقل سيفهمان .

ناما حيث هما على منضدة الطعام .. لم يعلما بشىء .. لم يحلما بشىء .. لم يشعرا بشىء . ثم جاء الرعد ..

صوت خطوات عملاقة يدنو أكثر فأكثر .

أيقظت الزوجة زوجها وأطفأت المصباح وذهبت للباب . كانت سماء الليل مظلمة إلا من النجوم .. لكن الرعد ظل يتردد .. نصف دقيقة بين كل دوى والآخر .. أعلى .. أعلى ..

وقف الزوج وزوجته على الباب يصغيان . فقط صوت الدوى تهتز له الأرض . لم تكن لديهما أية نية للفرار ، فهما هنا فى أمان مثلما هما فى الغابة .. كيف لهما لو دخلا الغابة أن يعرفا أية شجرة سيهوى الرعد فوقها ؟

رأى الزوج الرأس العملاق الذى لايصدق يظهر فى الظلام المخادع .. فتغدو التلال أقزامًا بالنسبة له . سقط على ركبتيه وصلى بينما صرخت زوجته .

وفى الكوخ صحا (ميك) وفرد ذراعيه فسقط الطبق من على المنضدة وتهشم . وصحا (جود) بدوره كان الصراخ بالخارج قد توقف .. لقد فرت المرأة إلى الغابة لأن أية شجرة هى أفضل من هذا المشهد وارتطمت قدم العملاق بالأرض فارتج الكوخ وتهشمت كل الأطباق .

هتف (ميك) وهو يعتصر كتفى (جود) :

- « هل ترى ؟؟ هل ترى ؟ »

وكانت الهستيريا قد بدأت تغزو صوته ، إذ جرى إلى الباب . ونظر (ميك) إلى السماء وتابع (جود) نظرته .

كان هناك مكان بلا نجوم .. ظلام فى شكل إنسان .. عملاق يلتحم بالسماء .. لكنه ليس عملاقًا متقنًا .. إن جلده يتحرك كخلايا النحل . قدماه أغلظ مما يجب .. وذراعاه أقصر وأرق مما يجب ..

وضع قدمه على الأرض ومشى نحوهما .. بوم ! ارتج سقف الكوخ وتهشم زجاج النوافذ .

كل ما قاله لص السيارة كان صحيحًا .. إن (بوبولاك) هى مدينة وعملاق معًا . وقد فهم الشابان كيف أن تصميم العملاق كان عبقريًا وتفادى بعض الثغرات .. فالعنق غائر بين الكتفين لتفادى مشكلة التحميل والتوازن على العنق .. والقدمان غليظتان كأقدام الفيل لزيادة الارتكاز على الأرض .. وكان صدره عاريًا عضليًا يتكون فى الحقيقة من آلاف أجساد الرجال العارية المتلاحمة بالحبال التى تجذب وتدفع كأنها العضلات ..

يمكنك أن ترى كل الذين يحركون المفصلات ويجذبون الأوتار ..

لكن ما هو أكثر غرابة كان الوجه .. خمسة رجال يؤدون دور العيون .. فم يفتح ويغلق به أسنان عبارة عن أطفال جالسين ..

وتسمر الشابان وقد فارقهما الرعب وحل محله الافتتان والرهبة .. كانا يفهمان أن هذا المشهد لايتكرر أبدًا وأن كل ما سواه شىء تقليدى معتاد .

كان يقترب منهما لكنهما لم يبتعدا .. حتى لو قتلهما فقد شهدا هذه المعجزة وهذا كاف ..

الآن هو أوضح .. يمكنهما أن يريا الوجوه الشاحبة الملوثة بالعرق .. لقد مات البعض فتدلى من حباله كأنه خلايا ميتة فى جسد آدمى حقيقى .. البعض لم يعد يقدر على الاستمرار .. وهكذا كان الجسد يتحلل ببطء شديد ..

كانت الضربة التى هوت على الكوخ أسرع مما

توقعا .. واستطاع (ميك) أن يرى باطن القدم .. كان عبارة عن مجموعة من الأجساد التى تهشمت تحت ثقل من هم فى مستوى أعلى، هوت القدم .. وفى ثوان تحول الكوخ إلى غبار وشظايا .

هوت قطعة من الحجر على (جود) .. وسمع فى رأسه صوت الضربة ككرة ترتطم بجدار . موت بلاألم ولاتأنيب ضمير .. وضاعت صرخة احتضاره فى المعمعة ..

لم يشعر (ميك) بموت صديقه ولم يره .. كان يرمق القدم تستقر للحظة . وجرى ليتمسك بها .. يريد أن يصير جزءًا منها .. يعيش معها أو يموت .. هذا خير من الموت هنا ..

وجد موضعًا آمنًا على كاحل القدم فأطلق صيحة فرح .. ونظر لأسفل بينما القدم ترتفع فرأى المكان الذى كان فيه .. رآه يبتعد بينما القدم ترتفع ..

لم تعد تحته أرض .. كان راكب أوتوستوب مع عملاق .. حياته السابقة لم تعد تعنى له شيئا ..

سيعيش مع هذا الشىء .. سيعيش هنا ويرى هذا الشىء للأبد ..

تعلق بالحبال وصرخ .. لم يعد شىء ذا معنى بالنسبة له ..

ومشت (بوبولاك) وصوت خطواتها يتقدم نحو الشرق .. وضاعت ضوضاء حركتها فى الظلام ..

بعد يوم عادت الطيور والثعالب والدبابير .. وتحلل جسد (جود) .. بعد فترة اصفرت عظامه وخلا المكان الذى كان يفعمه بأنفاسه وآرائه عندما كان حيًا .

* * *



لم يعد (ليون كاوفمان) غريبًا على المدينة .. كان يطلق عليها (قصر المسرات) لكن كان ذلك حين عاش فى (أطلنطا) حين بدت له (نيويورك) أرضًا واعدة بأى شىء ..

الآن عاش (كاوفمان) ثلاثة أشهر ونصفًا فى مدينة أحلامه فلم تعد تبدو له (قصر المسرات) ..

يشعر بخجل من سذاجته حين نزل من الحافلة وصاح :

- « (نيويورك) .. أنا أحبك .. »

يحبها ؟ مستحيل ..

كان مجرد افتتان ، والآن عاش مع محبوبته ثلاثة أشهر وقد فقدت الكثير من هالة السحر التى كانت تحيط بها .

(نيويورك) كانت مجرد مدينة .

كل من قابله هناك قد احتك بالعنف .. كان من دواعى الوجاهة أن تعرف شخصًا مات ميتة شنيعة ،

لأن معنى هذا أنك عشت فى تلك المدينة ، لكنه كان بحق يحب (نيويورك) فى شبابه ، لهذا أعطاها مزية الشك .. برغم أن تصرفاتها لم تكن تمت للنساء المحترمات فى شىء ..

« القتل فى أنفاق القطار » .. كان هذا هو المانشيت الأساسى لصحف هذا الشهر .. فى الأسبوع الماضى حدثت ثلاث جرائم ووجدت الجثث فى نفق (طريق أمريكا) .. وكانت الجرائم تدل على محترف قتل يجيد مهنة الجزارة ، إلى حد أن الشرطة راحت تحقق مع كل صاحب سوابق له علاقة بالجزارة ، وتمت مراقبة السلخانات على ضفة النهر .. ووعدت الشرطة باعتقال سريع للجانى لكن هذا لم يحدث .

لم تكن هذه الجثث الثلاث أولى جرائم القتل ، فيوم وصل (ليون) إلى المدينة نشرت (التايمز) قصة ما زالت كل سكرتيرة تحكيها فى المكتب ، لقد وجد سائح ألمانى جثة امرأة فى إحدى عربات قطار الأنفاق ، وقد تم وضع كل حاجياتها وقرطى أذنيها فى نظام فى أكياس

بلاستيكية إلى جوارها .. كأن هذا القاتل عقل فى غاية الترتيب .. مجنون يملك حاسة نظام غير عادية .

والأغرب أن القاتل علق الجثة من قدميها ، ووضع دلوًا أسود من البلاستيك تحتها كى يتساقط الدم فيه ، فى هذه الحالة وجدوا جثة (لوريتا داير) .

كان هذا محيرًا للغاية ومثيرًا للاشمئزاز .

ولم يكن هناك دافع واضح للقتل .. لقد تم إعدادها كأنها قطعة لحم ، فر الجزار بعدها .

حاول البوليس التعتيم على القصة ، وقيل إن السائح الذى وجد الجثة هو فى الحجز فى (نيوجرسى) كى لا يراه الصحفيون ، لكن رجل شرطة سرب الأخبار لصحفى فى التايمز ، فصار كل واحد فى (نيويورك) يعرف قصة الجريمة .

لكن (لوريتا) كانت الأولى .. لقد وجدوا ثلاث جثث فى ظروف مماثلة ..

ولم يهتم (كاوفمان) بالخبر كثيرًا لكنه شعر باشمئزاز

عميق ، جعله يزيح طبق البيض الذى كان يأكلـه فـى المطعم جانبًا .. كان هذا دليـلاً آخـر علـى تحلـل تلـك المدينة الأخلاقى .

ستستمر المذابح لفترة حتى يمل القـاتل مـا يفعلـه ويفقد واجب الحذر ..

اصـطدم رجـل ملتـح بقـدح القهـوة الخـاص بـ (كاوفمان) ، فصاح الرجل :

ـ « تبـًا ! »

استدار (كاوفمـان) بمقعده كـى يتحاشـى القهـوة المنسكبة :

ـ « لامشكلة هنالك .. »

ونظر للرجل .. إن الأحمق يحاول تجفيـف القهوة بمنشفة ورقية سوف تتحول إلى عجين حالاً .

ـ « هل لك فى قدح آخر ؟ »

هز (كاوفمان) رأسه أن نعم .. فطلب الرجل قهوة

سوداء من الساقية التى كانت تنظف الشواية من الفحم .. لكنها لم تسمع فعاد يكرر :

ـ « قهوة سوداء .. هل أصابك الصمم ؟ »

ثم نظر له الرجل وقال :

ـ « هذا سيئ جدًا .. ثلاث جثث ولادليل .. »

ـ « هذا يجعلك تتساءل .. نعم .. »

ـ « أردت القـول إن الشـرطـة تعـرف مـن فعلهـا وتخفى .. »

وشعر (كاوفمان) بسخف المحادثة فنزع عويناتـه ووضعها على جيبه .. هكذا اختفى الملتحى من دائرة بصره .. هذا أفضل نوعًا ..

قال الرجل :

ـ « إن الشرطـة تملـك الدليـل .. ثمـة شىء هنـاك ليس آدميًا لكن الأوغاد يتركوننا فى الظلام .. »

وكانت نظرية المؤامرة معروفة لـ (كاوفمان) جيدًا :

هناك شىء ما تحت لايريدون لنا أن نراه .. ربما يربون وحوشًا هناك ..

لكنه لم يستسغ هذه النظرية لأنها تبرئ هذه المدينة ، بينما هو متأكد من أن الوحوش فى الأنفاق هى وحوش آدمية ..

نهض الرجل محركًا ردفيه الثقيلين عن المقعد ، ودفع ثمن القهوة ، ثم قال :

ـ « أراهنك على أى شىء .. »

ثم انصرف .

تنفس (كاوفمان) الصعداء إذ انتهت هذه المحادثة فهو يمقت هذه المواجهات ، وتشعره بأن لسانه مربوط .. كما أنه كان يكره نمط البهيم صاحب الرأى .. هذا النمط الذى تجيد تربيته (نيويورك) ..

* * *

فى السادسة صحا (ماهوجانى) من النوم .. تمطى فى فراشه ونهض للعمل ..

كان صوت المطر يضرب أجهزة التكييف بالخارج ، فاضطر إلى أن يفتح التليفزيون فقط كى لا يسمع ، ثم نظر من النافذة .. (نيويورك) تعود للعمل بعد يوم طويل فى المكاتب سيئة التهوية .. البعض يركب عربات قطار الأنفاق غير مهتم بالشخبطات على الجدران ..

سر (ماهوجانى) بهذه الفكرة .. فهو لم يكن واحدًا من القطيع .. وبوسعه أن يقف فى نافذته ويرمق الألوف من عل ، ويشعر بأنه شخص مختار ..

كانت لديه مواعيد عمل بالطبع ، لكنه على عكس الناس فى الشارع لم يكن يؤدى عملاً بلا معنى .. بل كان عمله واجبًا مقدسًا ، ولم تكن الضرورات الاقتصادية هى ما يملى ذلك ، إنما متطلبات التاريخ .

كان يمارس تقليدًا قديمًا يعود لما قبل (أمريكا) ذاتها .. كان مهاجمًا ليليًّا .. مثله مثل (جاك السفاح) و(جيل دوريه) .. غضب له وجه آدمى .. رجل يوقظ الأهوال ويسكن النوم كالأشباح .

لم يلحظ الناس فى الشارع وجهه .. لكنه كان ينظر لهم . يتخير منهم الشاب .. والصحيح .. والثرى .. كى يسقط تحت سكين التضحية .

أحيانًا كان يتمنى لو أعلن عن شخصيته للعالم .. لكن كانت لديه مسئوليات مهمة .. ليس له أن ينتظر الشهرة .. فقط المغرور هو من يطلب الاعتراف به ..

لكنه كان مسرورًا لأنه يمارس تقليدًا قديمًا .. هذا كان يكفيه ..

فى الفترة الأخيرة ظهرت بعض الأشياء .. ما كان هذا خطأه طبعًا وليس لأحد أن يلومه .. لم تعد الحياة سهلة كما كانت منذ عشرة أعوام .. هو تقدم فى السن وصار عمله مرهقًا .. إن المسئوليات ثقيلة الوطء على عاتقه ..

أحيانًا كان يفكر فى تدريب شاب صغير للقيام بعمله .. من الخسارة أن تضيع خبراته عندما يموت .. لابد أن يحمل أحدهم الشعلة من بعده ..

دخل الحمام وتأمل الشعر الأشيب على صدره .. البقع على جلده الشاحب .. حقًا إنه يتقدم فى العمر ، لكن عليه أن يقوم بمهمته هذه الليلة مثل أية ليلة .

* * *

صعد (كاوفمان) بالمصعد إلى الطابق الثانى عشر ، ثم إلى مكتب (باباس) . مشى بين المكاتب الفارغة والآلات المغطاة .. كان المكان خاليًا من الحياة ، وهو سيعمل حتى العاشرة مساءً بعدها ينتهى الأمر ..

علق معطفه وجلس أمام كومة الطلبات التى يعمل فيها منذ ثلاثة أيام ، سيحتاج إلى ليلة عمل واحدة ، كى يقصم ظهر هذه المهمة .

الآن الساعة التاسعة .

لبس (ماهوجانى) ثياب الليل .. بذلته الأنيقة وربطة العنق .. وأزرار القميص الفضية .. وقد دهن شعره بالزيت وراح وجهه يفوح بالكولونيا .

كان قد أتم وضع كل شىء فى حقيبته .. الأدوات ومريولة العمل .

فقط لو عرف هؤلاء الناس فى الشوارع من هو وماذا يحمله فى حقيبته .. المهم الحذر .. وأطفأ النور .. واتجه للباب ..

مشى إلى الطريق رقم 145 .. هذه الليلة سينزل إلى (طريق أمريكا) نفقه المفضل، والأكثر ازدحامًا بالفرص .

كان يحب هذا كله .. رائحة الأنفاق .. الظلام .. الرعد ..

وقف على الرصيف وتفحص المسافرين معه .. كان هناك من فكر فى أن يتتبعهم لكن هناك آخرين بدوا له كنفاية لاتستحق الجهد .. كان يستبعد تلك الأجسام البدينة أو النحيلة أو التى هدها الإدمان أو الإرهاق .

كان يشمئز من هذه الأمور ، وإن كان يفهم ضعف البشر ..

لمدة ساعة جال على الرصيف بين القطارات القادمة والراحلة .. فى كل يوم يجد أن عليه الانتظار أكثر فأكثر حتى يجد لحمًا صالحًا للاستعمال .

الآن منتصف العاشرة ولم يلق قط شخصًا مثاليًا للذبح .

لايهم .. بعد قليل سيأتى جمهور المسارح .. وهم دائمًا مناسبون .. (الإنتلجنسيا) حسنة التغذية تمسك بكعب التذكرة وتتكلم عن تناقض الفنون ، فإن لم يجد يمكنه البحث عن رياضى يركض فى الشارع وحده .. إنه يعطى خامة مناسبة دومًا ، برغم أنه مع قوة هؤلاء تبرز مشكلة المقاومة .

كانت عناوين جريدة (نيويورك بوست) على المقعد تقول : « البوليس كله يخرج للبحث عن القاتل » ، لم يقاوم ابتسامة .. بعد كل شىء كان هو هذا الرجل .. وهذه الليلة كان التفكير فى القبض عليه مضحكًا .. ألم تكن مهنته تتم بموافقة أعلى السلطات الممكنة ؟ لايستطيع رجل شرطة أن يقبض عليه .. ولاتستطيع محكمة الحكم عليه ..

الساعة الآن العاشرة والنصف .. وقد بدأ طوفان رواد المسرح . كان فقط يريد أن يختار اثنين ويتبعهما حتى نهاية الخط كأى صياد محترف .

لم ينه (كاوفمان) عمله حتى الحادية عشرة .. لكن الملل جعل المهمة أصعب .. وكانت الأرقام تتكدس أمامه ، حتى اعترف بالهزيمة بعد عشر دقائق .. حك عينيه بكفيه حتى امتلأ رأسه بالألوان .

غادر المكتب شاعر بالكسل ، وكان الهواء فى الخارج أكثر برودة مما توقع .. هكذا أفاق نوعًا .. سيلحق بالقطار إلى (فار روكاواى) وهكذا يكون فى البيت بعد ساعة .

لم يعرف (كاوفمان) ولا (ماهوجانى) أن رجال الشرطة كانوا قد قبضوا على من ظنوه قاتل الأنفاق كان رجلاً يحمل منشارًا ومطرقة ، وقد هاجم امرأة فى العربة الثانية قائلاً إنه سيقطعها نصفين باسم (يهوه) .. لم ينل فرصة لتحقيق هذا .. لأنه بينما كان المسافرون ـ ومنهم اثنان من رجال (المارينز) الأشداء ـ ينظرون المشهد ، عاجلت الضحية الرجل بركلة فى أسفل بطنه ، ثم انتزعت منه المطرقة وهشمت فكه ..

وقد انتظر رجال الشرطة القاتل على الرصيف وحملوه إلى سيارتهم وهم يصرخون ، وألقوه فى المقعد الخلفى وقد تهشم وجهه إلى ألف قطعة .. وبعد الاستجواب انصرفت المرأة مع رجلى (المارينز) ..

كان هذا مما شتت رجال الشرطة خاصة أن المتهم لم يستطع عمل شىء سوى أن يسيل لعابه طيلة الليل ، كان الرجل من (برونكس)(*) ولم يكن أكثر خطرًا من أرنب شم النسيم ، لكن إلى أن وصل رجال الشرطة إلى هذه الحقيقة كان (ماهوجانى) قد وصل إلى مرحلة متقدمة من عمله .

كانت الحادية عشرة والنصف حين ركب (كاوفمان) القطار .. كان فى أول عربة وأمامه رحلة خمس وثلاثون دقيقة .. كان مرهقًا فأغلق عينيه ، ولم ير بالتالى وجه (ماهوجانى) ينظر عبر الزجاج بين العربات بحثًا عن المزيد من اللحم .

(*) برونكس هو حى اليهود فى (نيويورك) .. وبالتالى ـ حسب المفهوم الغربى المعكوس للأمور ـ لا بد أن يكون ساكن (برونكس) مسالمًا وديعًا أقرب إلى النسيم أو الأرانب الصغيرة !

ربما فى موضع ما فى ذهنه نصف النائم أدرك (كاوفمان) إن الباب الفاصل بين العربة الأولى والثانية انفتح، ربما لاحظ إنه يشم رائحة النفق. ربما سمع صوت العجلات أعلى، لكنه فى النهاية واصل النوم.

لسبب ما حلم بأمه فى المطبخ .. كانت تقطع اللفت، وصوت التقطيع المنتظم تشوب ... تشوب ..

كم من الوقت نام؟ لقد صحا ورأسه مفعم بالنعاس ..

كان هناك ستار فى الفراغ بين العربتين، لم يكن هناك من قبل على قدر علمه .. كانت سرعة القطار مخيفة، وخطر له أنه ربما نام أكثر من اللازم، ولم يره الحارس، وقد تجاوزوا (فار روكاواى) والقطار الآن مندفع بسرعة إلى حيث يأخذون القطارات ليلاً ..

هل يذهب ليسأل السائق؟ يا لها من فكرة غبية وسؤال أغبى .. أين أنا؟

ثم بدأ القطار يبطئ .. محطة نعم .. خرج القطار من النفق إلى الضوء المتسخ لمحطة الشارع الرابع الغربى .. لم تفته أية محطة.

أين ذهب الركاب؟

انغلقت الأبواب من جديد .. وبدأ القطار يكتسب السرعة مرة أخرى ..

لم يعد راغبًا فى النوم لأن الأدرينالين تدفق فى دمه .. وبدأ يشعر بالتوتر ..

حواسه أرهفت، وقد استطاع برغم صوت العجلات أن يسمع صوت التمزيق فى العربة المجاورة .. نهض ليرى، وكانت المسافة بين العربيتين مغطاة بستار محكم .. لكنه نظر من هناك مقطبًا كأنما يأمل فى أن تكتسب عيناه فجأة قدرات أشعة إكس ..

صوت تمزيق من جديد ..

نظر من جديد ولم ير الدم الذى كان يدوس عليه .. حتى ...

انزلق كعب حذائه .. فرأت معدته الدم قبل عينيه ، وصعدت شطيرة اللحم التى تناولها فى العشاء إلى منتصف المسافة عبر المرىء ..

يجب أن يرى .. هناك خيط من الدم من هذه العربة إلى العربة المجاورة لكنه يجب أن يرى ..

يجب ..

كان هناك ثقب بالفعل فى الستار وقد وجده وثبت عينيه عليه ..

لم يصدق عقله ما رآه خلف الباب .. منطقه قال له إن هذا ليس حقيقيًا لكن لحمه قال له إنه كذلك .. بقى جوار الباب بين العربتين متصلبًا والقطار مستمر فى طريقه . بقع لامعة من الضوء تبزغ فى مجال إبصاره ..

ثم فقد الوعى ..

لم يسمع السائق يعلن فى مكبر الصوت أن القطار بلغ محطة (جاى) وأن الركاب المسافرين بعد هذه المحطة عليهم تبديل القطارات . كان هذا غريبًا .. القطارات لاتفرغ ركابها فى جامى .. بل تواصل الخط إلى (موت أفينيو)

وتمر بمطار (كنيدى) .. لكنه كان يعرف أن الحقيقة فى العربة المجاورة .. تبتسم راضية عن نفسها خلف مريولة جزار ملوثة بالدم ..

لقد كان هذا قطار لحم منتصف الليل .

أفاق من الإغماء فأخفى نفسه تحت مقعد ، وراح يفكر .. هل الحارس قد مات ؟ والسائق ؟ هل مات فى قاطرة القيادة ؟ هل القطار مندفع الآن عبر نفق طويل بلا محطات متجهًا إلى نهايته ؟

والجزار ؟ إنه هنا لايفصله عن (كاوفمان) إلا باب .. باب اسمه (الموت) ..

إنه الآن فى قطار واحد مع قاتل الأنفاق .. الذى يمزق ضحاياه ويعلقهم من أقدامهم ..

شعر بالباب يفتح ، فتكور تحت المقعد وأغمض عينيه بقوة كأنه صبى يتوارى خوفًا من الغول ..

دخل الهواء .. ووش ! كانت له رائحة أغرب وأكثر بردًا مما اعتاد (كاوفمان) .. ثم انغلق الباب .. كليك !

الجزار قريب .. ربما يقف الآن على بعد بوصات من موضعه ..

هل هو ينظر لظهر (كاوفمان) الآن ؟ هل ينحنى عليه الآن بالسكين فى يده ؟

* * *

شعر (ماهوجانى) بخيبة أمل لأن الرجل النائم قد نزل فى محطة الشارع الرابع الغربى .. كان يأمل فى عملية أخرى هذه الليلة .. إن الضحية لم تكن صحيحة الجسد إلى هذا الحد .. لقد كان الفتى مصابًا بفقر دم .. لن يكون للحمه قيمة .. ونظر لكابينة السائق وقرر أن يمضى باقى الرحلة هناك ..

وارتجف (كاوفمان) ذعرًا .. رباه ! إنه سيقتل السائق ..

سمع صوت الباب ينفتح .. ثم :

« مرحبًا .. »

« مرحبًا .. »



شعر بالباب يفتح ، فتكور تحت المقعد وأغمض عينيه بقوة كأنه صبى يتوارى خوفًا من الغول

ـ « هل تم كل شيء ؟ »

إنهما يعرفان بعضهما ..

ـ « تم كل شيء .. »

ما معنى هذا ؟ تم كل شيء ؟ ما هذا الذى تم ؟ الآن يسمع ضحكات ..

قيم (كاوفمان) فرصة .. لو ظل حيث هو فلسوف يراه الجزار حتمًا ويحوله إلى لحم مفروم .. لو حاول الحركة فهو يجازف بأن يكتشف أمره ..

فى النهاية استقر عزمه على أن يزحف نحو العربة الثانية ، وقد فعل هذا ببطء مؤلم .. وصل للباب وبدأ يقف متأهبًا للمشهد الذى سيراه فى العربة التالية .. فتح المقبض ..

لابد أن الجزار سيسمع الآن .. هل يستدير ؟ لكن لا ..

جعلت اللهفة (كاوفمان) أقل حذرًا فنسى أن يغلق الباب خلفه .. وقد بدأ ينفتح ثانية مع اهتزاز القطار .

أخرج (ماهوجانى) رأسه من الكابينة ونظر إلى العربة ، فقال السائق :

ـ « ماذا يحدث ؟ »

ـ « لم أغلق الباب جيدًا .. هذا كل شيء .. »

وسمع (كاوفمان) خطى الجزار قادمًا فتكور على نفسه بين العربتين ، وللمرة الأولى يعرف أن أمعاءه مليئة إلى هذا الحد .. ثم سمع الباب ينغلق .. وابتعدت الخطوات ..

لقد نجا بما يكفى لشهيق آخر على الأقل ..

الآن يرى المشهد الذى احتل كل حواسه .. السمع .. اللمس .. النظر .. لقد كان الآن مع الموت نفسه فى عربة قطار واحدة .

أربع جثث تتدلى من السقف وتتأرجح مع كل حركة للقطار . ولم يفته أن يلاحظ ما فى العمل من نظام وبراعة . كانت هناك صرخة رعب تحتشد فى حلقه .. ما كان بوسعه منعها .. لكنه كان يعرف أن الصراخ معناه أن يتحول إلى جثة خامسة فى ثوان ..

بدأ يزحف بين المقاعد .. إنه الآن يرى الباب المؤدى إلى العربة رقم 3 .. كل ما عليه أن يبلغها ليغادر هذا المكان الشنيع .

فجأة انطفأت الأضواء .. واصطدم بإحدى الجثث المعلقة ..

لم يدر كيف ولا متى صرخ خوفًا ..

سمع خطوات الجزار قادمة عبر العربة التالية .. ثم عادت الأضواء .. هذه المرة لم يعد يشعر بخوف . لن يكون هناك هرب بين العربات .. ستكون مواجهة بدائية بين رجلين .. وجهًا لوجه .. لن تكون هناك حيل ..

انفتح مقبض الباب ..

بحث (كاوفمان) حوله عن سلاح . وجد كومة ثياب عليها سكين .. مد يده وأمسك بها .. كان ملمسها مطمئنًا فى يده .

وانفتح الباب تمامًا وللمرة الأولى رأى وجه

(ماهوجانى) .. لم يكن مخيفًا .. مجرد وجه رجل فى الخمسين من عمره بدأ يفقد شعر رأسه . كانت شفتاه رقيقتين .. بالواقع كان له فم امرأة ..

لم يفهم (ماهوجانى) من أين أتى هذا المتسلل ، لكنها كانت علامة على أن كفاءته تقل مع الوقت .. يجب أن يتخلص منه حالاً .. لقد اقتربت نهاية الخط ويجب أن يفرغ منه سريعًا ..

- « أنت كنت نائمًا .. لقد تذكرتك الآن .. »

لم يقل (كاوفمان) شيئًا ..

- « كان يجب أن تغادر القطار .. ماذا كنت تحاول عمله ؟ تتوارى عنى ؟ »

ومد يده فى حزامه فأخرج الساطور الذى اتسخ بالدم .. وقال :

- « لافارق .. يجب أن أفرغ منك الآن .. »

رفع (كاوفمان) السكين التى بدت صغيرة جدًا أمام عتاد الرجل ..

قطب الرجل جبينه وخطا خطوة نحو ضحيته وقال :

ـ « ما كان يجب أن ترى هذا .. كان سرًا .. لكنك ستموت ميتة مفيدة .. سوف يتغذى الآباء عليك .. »

فكر (كاوفمان) .. آه .. إذن هو من الطراز المجنون الذى تلهمه الأفكار المقدسة .. هذا يعنى شيئًا ما ..

هوى الساطور على (كاوفمان) لكنه تنحى جانبًا لينغرس فى ساق جثة .. حتى إنه كاد يفصلها من مكانها .. وحاول (ماهوجانى) انتزاع الساطور ، هنا هجم عليه (كاوفمان) بالسكين .. أراد أن يغرسها فى عينه لكن الهلع وسوء الحكم ، جعلاه يغرسها فى عنقه لتخترقه وتخرج من الناحية الأخرى ..

لم يفهم (ماهوجانى) مايحدث .. شعر كأنه (شرق) بشىء كأنما عظمة دجاج استقرت فى حلقه .. وفجأة هوى الساطور من يده ..

هوى (ماهوجانى) على ركبتيه وحاول أن يقول شيئًا ، لكن (كاوفمان) لم يسمع شيئًا كأنه تحت

الماء .. بدأت عينا (ماهوجانى) تصابان بالعمى وأدرك فى حزن أنه لن يرى أو يسمع ثانية .. إنه الموت هذه المرة .. الموت .. هو بالذات ولا شك فى هذا ..

لقد مات الجزار ..

وقف (كاوفمان) يرمق المشهد غائبًا عن الإدراك لفترة ..

بدأ القطار يبطئ .. سمع الفرامل ..

ترى هل القطار ذاهب إلى سلخانة الجزار التى يضع فيها اللحوم التى جمعها طيلة مهنته ؟ وماذا يفعل السائق الذى يبدو مشاركًا فى الأمر ؟

سمع صوت السائق يقول :

ـ « وصلنا يا رجل .. يحسن أن تجلس .. »

ماذا يعنيه بهذا ؟

خارج القطار أظلمت الأضواء فساد ظلام دامس .
ثم سكن القطار تمامًا .

الآن تنفتح الأبواب .. تدخل رائحة .. رائحة كاوية إلى حد أن (كاوفمان) اضطر إلى أن يخفى وجهه بين كفيه . ثمة همسات من خارج العربة كأنما هى أصوات خنافس محتشدة ..

مجموعة من الناس تتحرك إلى القطار وفى أيديهم كشافات .. ربما كان الصخب ناجمًا عن خطواتهم على الأرض .. لم يعد (كاوفمان) ساذجًا كما كان منذ لحظات .. ألم يعد الجزار اللحم لهؤلاء ؟ إنهم أكلة لحوم البشر قادمين إلى عربة المطعم ..

مد يده وأمسك بساطور الجزار وتأهب للاختباء تحت مقعد ..

هنا دخل المخلوق الأول العربة .. كان نحيلاً إلى درجة الشفافية .. لا يوجد شىء غريب فى مظهره ..

كان يلهث بعد تسلق العربة حتى بدا أقرب إلى الشيخوخة منه إلى الخيال ..

ومن خلفه برز آخرون على كل باب .. فى الحقيقة كان (كاوفمان) محاصرًا الآن ..

كان يراهم على ضوء الكشافات ، وأدرك أنهم صلع الرءوس تمامًا .. وجلد وجوههم مشدود على الجماجم .. أما ثيابهم الشحيحة فقد أدرك (كاوفمان) على الفور حقيقتها .. إنها جلود بشرية ..

كانوا يفحصون اللحم الآن فى لهفة لا تخفى .. وقد جحظت العيون من محاجرها فى جوع ..

فى النهاية رأى أحدهم (كاوفمان) ..

ـ « أنت ! »

كانت الكلمات ضامرة مثلما كانت الشفتان التى خرجت منهما ..

ورفع (كاوفمان) الساطور .. لابد أنهم ثلاثون على الأقل .. لكنهم ضامرون غير مسلحين ..

- « أنت جئت وراء الآخر ؟ »

ونظر إلى جثة (ماهوجانى) .. لقد فهم الموقف بسرعة كما هو واضح .. وضحك .. حاول أن يتذكر كيف الضحك لكن النتيجة كانت أنه كشف عن أسنان حادة مبرودة كالسكاكين ..

- « يجب الآن أن تقوم بهذه المهمة لنا .. »

وقال مخلوق آخر :

- « نحن نكره هذا الطعام أيضًا .. لكننا مرغمون على أكله .. برغم أننى لا أشتهيه على الإطلاق .. »

أخيرًا وجد (كاوفمان) صوته .. فتساءل :

- « ما أنتم ؟ »

- « نحن آباء المدينة .. البانون .. نحن من صنعنا هذه المدينة .. »

- « (نيويورك) ؟ قصر المسرات ؟ »

- « نعم .. قبل أن تولد أنت .. قبل أن تولد المدينة نفسها .. »

وخلف ظهر (كاوفمان) كان الآخرون يفكون الأجساد المعلقة .. بينما قال الأب :

- « ستجلب لنا المزيد .. الآخر كان ضعيفًا .. »

أصيب (كاوفمان) بالذهول :

- « أنا ؟ أطعمكم ؟ من تحسبوننى ؟ »

- « يجب أن تفعل هذا لنا .. ولمن هم أكبر منا .. حين كانت أمريكا غابات وصحراء .. »

ورأى (كاوفمان) خارج القطار شيئًا أكبر من كل البشر .. شيئًا فشل فى أن يراه فى البداية ..

وفكر فى المدينة التى أحبها .. هل هؤلاء حقًا هم الأجداد ؟ يجب أن يصدق هذا .. ربما كان هناك على السطح من يعرف هذا السر الرهيب ..

دون أن يأمر قدميه وجدهما تمشيان إلى خارج القطار ..

كانت الكشافات تضىء الظلام بصعوبة ..

كان هناك .. أصل الأمريكيين .. الأمريكى الأول .. وكانت عيناه تنظران له ..

ارتجف جسده واصطكت أسنانه ..

كان صوت حركات المخلوق لايصدق .. كأنه جبل يجلس ..

سقط على ركبتيه فى خوف أمامه ..

لقد كان كل يوم فى حياته يقوده إلى هذا اليوم .. لو كان هناك ضوء كاف هنا لانفجر قلبه رعبًا .. لقد شعر به يرجف فى صدره وهو يرى الحقيقة ..

كان عملاقًا بلا رأس ولا أطراف .. بلا ملامح .. بلا أعضاء حواس .. لو كان يشبه شيئًا فهو يبدو

كسرب من الأسماك .. آلاف الأفواه تتحرك .. تفتح .. تبحث ..

كان هذا كل ما رآه .. وكان أكثر مما أراد أن يراه .. لكن بقى الكثير فى الظلام ..

كان كل جزء من جسد (كاوفمان) يبكى الآن ما عدا عينيه .. لقد التهبتا بالمشهد حتى جفت الدموع فيهما ..

وفى عربة القطار بدأت الوحوش عشاءها .

دنا منه الأب الأصغر الذى تكلم معه أولاً ، وأدار وجهه ليرى وجهه فى زجاج القطار .. كان الوجه الذى رآه (كاوفمان) مريعًا .. شاحبًا .. مغطى بالعرق والدم ..

- « اخدمنا .. فى صمت .. »

ثم ابتعد الرجال ، وسمع صوتًا من القطار يقول :

- « العودة .. »

واتغلقت الأبواب ودوى صوت محركات القطار .. وعادت الأضواء .

بدأ القطار يتحرك ..

بينما رقد (كاوفمان) على الأرض والدموع تسيل من عينيه .. أغمض عينيه وقرر أن يموت حيث هو .. إنه عالم قاس ..

أيقظه السائق .. كان الوجه الذى ينظر له أسود لايخلو من المودة .. حاول (كاوفمان) أن يقول شيئًا فلم يخرج منه إلا الأنين ..

أنهضه السائق على قدميه .. وراح يكلمه كأنما هو طفل فى الثالثة من عمره ..

ـ « لديك عمل تقوم به يا رجل .. إنهم مسرورون منك .. »

وراح يدعك عينيه المنتفختين قائلاً :

ـ « هناك الكثير لتتعلمه قبل مساء الغد .. »

الكثير لتتعلمه ..

كان القطار يقف فى محطة لم يرها (كاوفمان) من قبل .. بلاط أبيض ونظافة لاتصدق .. لا بوابات ولامسافرين .. هذا الخط لايخدم إلا قطارًا واحدًا : قطار اللحم ..

كان هناك عمال يغسلون عربة القطار من الدم ويتخلصون من البقايا . وكان ضوء الفجر يتسرب من سقف المحطة .

استدار السائق إلى العمال وقال :

ـ « أقدم لكم خليفة (ماهوجانى) .. الجزار الجديد .. »

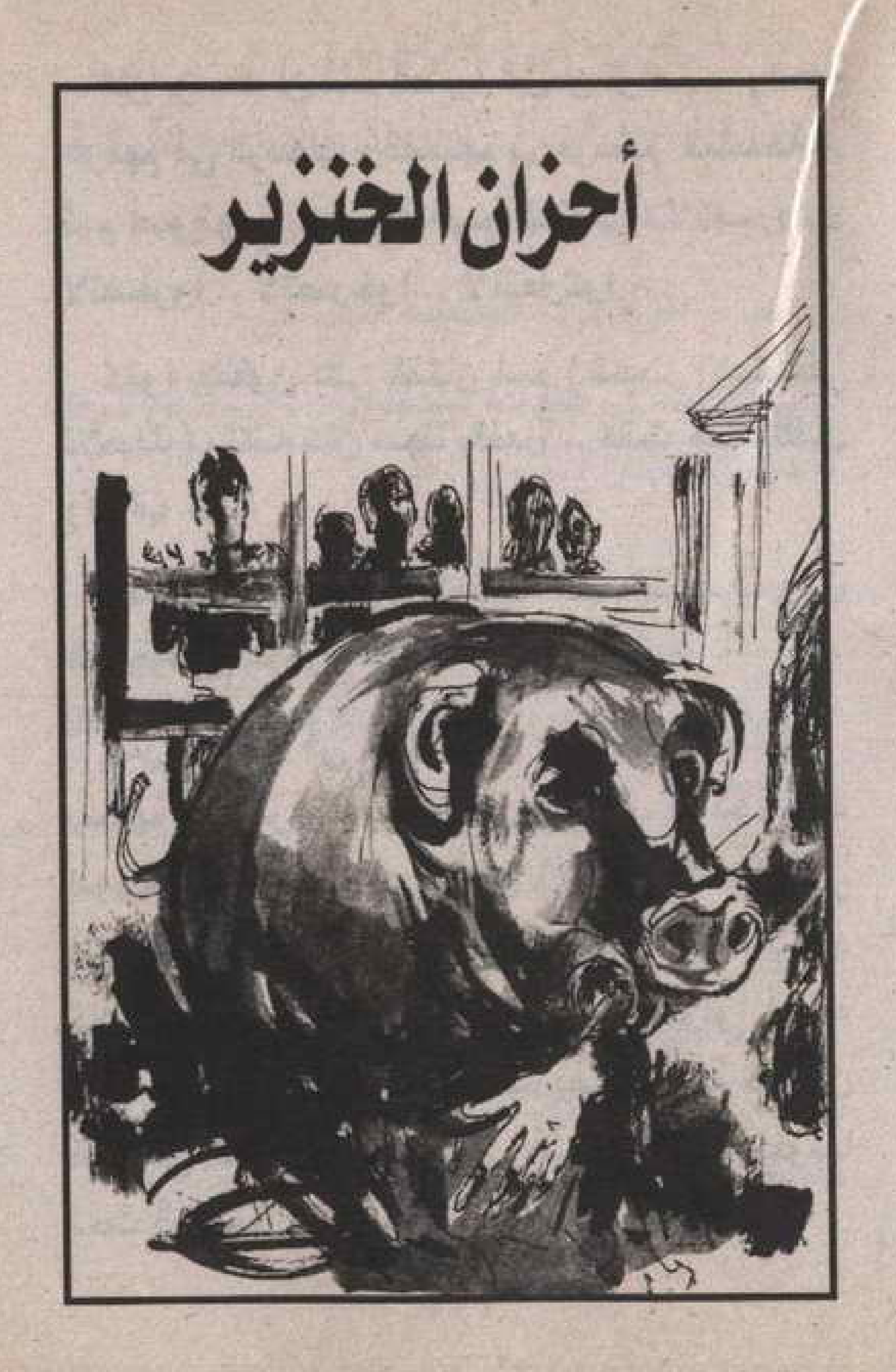
كانت الشمس الآن تدخل من أعلى .. كان يومًا جميلاً . رائحة الصباح تحيط بـ (نيويورك) ..

سرعان ما تمتلئ الشوارع بالمارة الغافلين .. لايعرفون على أى شىء بنيت هذه المدينة ولالمن تدين بوجودها ..

ركع (كاوفمان) على ركبتَيه ولثم أسفلت الشارع معلنًا عن إخلاصه لبقاء هذه المدينة واستمراريتها ..

وتلقى (قصر المسرات) هذا الحب دون تعليق ..

★ ★ ★



كان بوسعك أن تشم الصبية قبل أن تراهم .. رائحة عرقهم فى الردهات وأنفاسهم ورءوسهم المتسخة .. ثم أصواتهم برغم قوانين الحجر : لاتجروا .. لاتصفروا .. لاتصرخوا .. لاتتعاركوا ..

كانوا يطلقون على المكان اسم (الحجز الاحتياطى للأحداث) ، لكنه كان سجنًا بالفعل .. كانت هناك أقفال وأبواب غلاظ ..

لقد كان (تيثرداون) سجنًا له اسم لطيف .. وكل الموجودين يعرفون هذا ..

أكثر الصبية فى هذا المكان مسجونون لسبب .. يمكنهم أن يسرقوك بمجرد أن يروك .. أو يجرحوك لدرجة الإعاقة بلا جهد . وكان (ردمان) قد قضى فى القوة فترة طويلة ليميز الأكاذيب الاجتماعية .. كان يعرف الضحايا ويعرف الفتية . لم يكونوا أبرياء أساء المجتمع فهمهم .. كانوا سريعى الحركة خطرين معدومى الأخلاق مثلهم مثل الأمواس التى يخفونها تحت ألسنتهم ..

- « مرحبًا بك فى (تيثرداون) .. »

هل كان اسم المرأة (ليفرتون) أم (ليفرفال) ؟

- « أنا الدكتورة (ليفرتال) .. »

نعم .. امرأة قوية الشكيمة قابلها فى ..

- « تقابلنا فى المقابلة الشخصية .. يسرنا أن نراك يا مستر (ردمان) .. »

- « (نيل) .. أرجو أن تنادينى (نيل) .. »

- « لانفضل استعمال الاسماء الأولى أمام الفتية .. هذا يجعلهم يشعرون بأن لهم دورًا فى حياتك الشخصية .. »

كانت فى الخمسين من عمرها .. شعرها معقوص بعنف حتى إنه اندهش لأن عينيها لم تثبا من مكانهما ..

- « سنبدأ الصف بعد غد .. سألنى الحاكم أن أرحب بك نيابة عنه .. ويعتذر عن عدم وجوده هنا .. ثمة مشاكل مالية .. »

- « أليس الأمر كذلك دومًا ؟ »

- « بلى .. لكنى أخشى أننا على وشك فقد (تيثرداون) .. وسيكون هذا عارًا .. أعرف أنه ليس .. »

- « لكنه بيتك .. »

وضحك لكن دعابته لم تلق استجابة لديها ..

- « أنت تملك سجلاً مشرفًا فى قوة الشرطة .. ونأمل أن ترحب الجهات الممولة بوجودك هنا .. »

- « لقد أخبرتك بالسبب الذى تركت الشرطة من أجله .. »

- « أنت أخبرتنى .. خروج إعاقة .. »

- « لم أرد أن أتولى عملاً مكتبيًا .. ولم يريدوا أن أستمر فى العمل لأن فى هذا خطرًا على كما قالوا .. تركت الخدمة بعد أربع وعشرين سنة .. »

هزت رأسها ولم يبد أنها تهتم بشىء ..

- « أتمنى أن أعرف ما قلتموه للفتية عنى .. »

- « معظم هؤلاء الفتية يعانون مشاكل عدوانية لا يستطيعون السيطرة عليها .. هذه هى المشكلة مع أكثرهم .. »

لم يعترض لكنها نظرت له بحدة كأنما فعل ذلك .. وأردفت :

- « لهذا نحن بحاجة إلى أن يفهموا موقفهم وأن يعرفوا أن هناك بدائل .. نحاول أن نعطيهم بعض الحرية . بعض التعليم .. يعتقد كثير من الناس أن معومى الأهلية يستمتعون بالجريمة .. ليست هذه خبرتى معهم .. إنهم يأتون محطمين شاعرين بالذنب .. »

قال (ردمان) :

- « لكنهم اقترفوا جرائم برغم كل شىء .. »

- «نعم .. وربما يجب أن نذكرهم بهذه الحقيقة .. »

كان يعرف أن هؤلاء المحللين النفسيين قد احتلوا

مكان الوعاظ .. نفس الكلام .. ولكن بألفاظ ملونة براقة .. ونظر إلى الملعب من النافذة فرأى مطاردة .. ثم رأى ضحية تقف فوق ضحية أخرى بحذائها .. كان مشهدًا قاسيًا بحق ..

لاحظت (ليفرتال) المشهد بدورها فقالت له :

- « معذرة .. يجب أن .. »

وهرعت تنزل فى الدرج .. وصاحت وهى تبتعد :

- « ورشتك هى الباب الثالث على اليسار .. سأعود حالاً .. »

كان يراقب المشهد الذى يتفاقم بسرعة فى الملعب ، وقدر أن الأمر يحتاج إلى ثلاث عتلات حديدية لإبعاد هؤلاء المتصارعين عن بعضهم ..

نزل فى الدرج متتبعًا خطوات (ليفرتال) .. ووجد طريقه بسهولة عبر المرج الذى أضاءته الشمس .. كان هناك عدد من المشاهدين يلتفون حول المذبحة .. وكانت (ليفرتال) تقف ترمق الفتى الممدد على الأرض وقد بدت إصاباته بالغة ..

سادت الهمسات فالابتسامات ..

كان الفتى فى السادسة عشرة من عمره ، راقدًا ووجهه للأرض .. كأنما يصغى لما يحدث تحتها ..

- « (لاسى) .. »

قالتها (ليفرتال) لـ (ردمان) لتخبره باسم الفتى ..

- « هل إصابته بليغة ؟ »

هز الحارس الذى يركع جوار الفتى رأسه :

- « ليست بالغة السوء .. مجرد سقطة .. »

كان هناك دم على وجه الفتى . وعيناه مغمضتان فى سلام .. كان من الممكن أن تعتبره ميتًا ..

وصاح الحارس :

- « أين المحفة اللعينة ؟ »

- « إنهم قادمون .. »

ونظر (ردمان) إلى المتكلم وخطر له أن هذا هو

المعتدى .. كان فى التاسعة عشرة من عمره ، وله عينان يمكن أن تجعلا اللبن يفسد على بعد عشرين خطوة ..

جاء بعض الفتية يحملون محفة وكانوا يضحكون من الأذن للأذن ..

بدأ المشاهدون يتفرقون بعدما انتهى أفضل جزء من المشهد ..

صاح (ردمان) :

ـ « لحظة .. نحن بحاجة إلى شهود .. من فعل هذا ؟ »

اهتزت بعض الأكتاف .. لكن الجميع تظاهر بالصمم .. ولم تقدم له (ليفرتال) أى عون .. قال :

ـ « نحن رأينا المعتدى من النافذة .. أليس كذلك ؟ »

ـ « كنا بعيدين بحيث يصعب أن نتهم أحدًا .. لكنى لا أريد أن أرى هذا النوع من البلطجة ثانية .. هل تفهمون ؟ »

لم يجد بوسعه أن يتهم أحدًا .. برغم أنه واثق بحكم خبرته من أن الفتى ذى النظرات التى تفسد اللبن هو من فعلها ..

قالت (ليفرتال) :

ـ « (لاسى) .. دائمًا المشكلة فى (لاسى) .. »

قال أحد الصبية حاملى المحفة :

ـ « هو من أراد ذلك .. لا يجد شيئًا أفضل يفعله .. »

وابتعدت المرأة ووراءها (ردمان) .. التفت فجأة لينظر إلى المحفة ، هنا حدث شيئان .. أولاً : واحد من المجموعة قال : هذا هو الخنزير .. الثانى أن عينى الفتى على المحفة نظرتا له فى صفاء وصدق ..

قضى (ردمان) أكثر اليوم التالى يجهز معداته .. كانت أكثر المناشير مكسورة والأزاميل فقدت حدتها .. يحتاج إلى مال كى يعيد تجهيز نفسه بالمعدات .. لكن ليس هذا وقت الطلب .. يجب أن يبرهن على كفاءته أولاً ..

فى الرابعة والنصف دق جرس ، تجاهله ، لكن غرائزه قهرتـه .. إن هذا الجرس المستمر جرس إنـذار .. أغلق الورشة وتتبع أذنيه ..

لم يكن هناك دخان فى الهواء ، فالأمر ليس حريقًا كما هو واضح .. كان هناك صراخ .. ربما عواء ..

مشى عبر الممرات متجهًا إلى ما يسمونه (وحدة المستشفى) .. هنا اصطدم به شخص نحيل .. أمسك (ردمان) بالفتى من ذراعه برغم أن هذا راح يحاول أن يركله بقدمه العارية ..

– « أطلق سراحى أيها القذر .. »

– « اهدأ .. اهدأ ! »

كان الأمر كمصارعة تمساح .. إن الخوف منح الفتى قوة ، لكن نوبة جنونه كانت قد بدأت تهدأ ..

كان هذا (لاسى) .. وكان يبكى ..

جاء الحارس وقيد ذراع الفتى .. وظهر ولدان وممرضة .. مخلوقة غير محببة على الإطلاق ..

ثم ظهرت (ليفرتال) متأخرة جدًا بحيث لم يكن مجيئها ذا جدوى ..

– « ماذا حدث ؟ »

قال الحارس وهو يلهث :

– « أغلق على نفسه الحمام وحاول الهرب من النافذة .. »

نظر الفتى إلى (ردمان) وسأله :

– « هل أنت الخنزير ؟ »

– « نعم يا بنى أنا الخنزير . والآن قل لى لماذا حاولت الهرب ؟ »

قالت المشرفة :

– « سيحكى طبعته الخاصة من القصة للحاكم .. ليس هذا من شأنك .. »

لكنه كان يعرف أن هذا شأنه .. نظرة الفتى إليه جعلته يدرك أن هذا شأنه .. قال للحارس بلهجة آمرة :

- «دعه يتكلم .. لماذا حاولت الهرب يا (لاسى) ؟ »

- « لأنه عاد .. »

- « من عاد ؟ قل لى اسمًا يا (لاسى) .. »

نظر الفتى لقدميه وبدأ كأنما يقاوم الصمت .. ثم قال :

- « (هنيسيف) .. »

والتقت عيناه بعينى (ردمان) .. كان هذا كل شىء ، ثم اقتاده الحارس إلى غرفته ..

كرر (ردمان) الاسم :

- « (هنيسيف) .. »

كانت (ليفرتال) تشعل سيجارة .. كانت يداها ترتجفان وهى تفعل ذلك .. ولم يندهش .. ما زال

صعبًا أن يلقى أطباء نفسيين لا يعانون من مشاكل هم أنفسهم ..

قالت :

- « الفتى يكذب .. (هنيسيف) لم يعد معنا.. »

لم يتكلم (ردمان) ... بينما قالت وهى تدس لفافة التبغ بين شفتيها عديمتى اللون :

- « (لاسى) بارع .. وأنت جديد هنا .. يريد أن يعطيك الانطباع بأنه يملك لغزًا .. »

- « إذن هو ليس لغزًا ؟ »

- « (هنيسيف) ؟ باللّه عليك لا .. لقد هرب من الحجز فى مايو .. »

كان الموضوع يضايقها وقد ارتسم الاشمئزاز على وجهها فى أكثر من دستة تجاعيد ..

- « كان (لاسى) تحت سيطرته .. هذا يحدث كثيرًا .. الفتى يجعل من صديقه الأكبر سنًا صنمًا .. و(لاسى) جاء من بيئة أسرية غير مستقرة .. »

عبقرية .. فكر (ردمان) .. عبقرية لكنه لا يصدق حرفًا مما تقول .. ليست عقول الناس لوحات معلقة فى معرض ، كتب تحت اللوحة الأولى (غير مستقر) وتحت الأخرى (ماكر) .. الخ .. العقول البشرية معقدة جدًا كلها شخبطة على جدار .. فى كل مرة تجدها فى صورة مختلفة ..

* * *

بدأت الدراسة فى اليوم التالى .. وكان الحر قائظًا حتى إن الورشة تحولت إلى فرن .. لكن الطلبة اهتموا بما يقدمه (ردمان) وعرفوا أنه رجل يمكن أن تحترمه ولا تحبه .. لم يتوقعوا منه ما هو أكثر ولم يتلقوا ما هو أكثر .. كانت صفقة عادلة ..

لم يعرف (ردمان) بوجود المزرعة إلا يوم الاثنين التالى ..

لم يخبره أحد أن هناك مزرعة فى المركز .. وبدت له الفكرة سخيفة ..

قال له الفتى (كريلى) ، وهو واحد من أسوأ النجارين الذين على ظهر الأرض :

- « لا أحد يذهب هناك .. إنها عفنة .. زريبة خنازير .. »

ودوت الضحكات .

ما كان (كريلى) يبالغ .. حتى بعد الظهيرة كانت رائحة المزرعة تقلب المعدة .. كان يرى الآن مبنى المزرعة وبعض الأكواخ ودجاجًا يجرى .. بعض البط والخنازير .. لكن كان من الواضح أنه لا أحد يكلف خاطره بالتنظيف .. الخنازير كانت تعيش فى بيت من برازها الخاص جففته الشمس وغزاه الذباب ..

كاد (ردمان) يرجع حين رأى شيئًا عملاقًا ينهض وينظر له ..

كانت خنزيرة يبلغ حجمها ثلاثة أمثال رفاقها .. ربما كانت هى الأم .. وقد هز حجمها (ردمان) من الأعماق .. لابد أن وزنها ضعف وزنه ..

كانت عيناها ترمقانه كأنه مساو لها ..

كانت رائحتها غير كريهة ، فلابد أن هناك من جاء لينظفها هذا الصباح .. أخيرًا بدا أنها درسته جيدًا فعادت إلى الداخل حيث الظل .. لقد انتهى موعد الفرجة ..

فى تلك الليلة ذهب ليقابل (لاسى). لقد خرج الفتى من غرفة المستشفى ووضع فى غرفة صغيرة .. لابد أن الأولاد كانوا يضايقونه لذا اختاروا له حجرة منفردة ..

كان ينام فوق كومة من المجلات المصورة .. أغلفة المجلات تلمع على وجهه فتزيده شحوبًا ، لكنه كان قد أزال الضمادة على أنفه واصفرت الكدمات تحت عينيه ..

ـ « هل أنت بخير ؟ »

هز الفتى رأسه ..

ـ « هل تحب الوحدة ؟ »

ـ « نعم يا سيدى .. »

ـ « لكنك ستعود إلى العنبر .. لن تظل هنا للأبد .. »

لم يرد الفتى ..

ـ « اصغ يا بنى .. أريد أن يفهم كل منا الآخر .. »

ـ « نعم يا سيدى .. »

ـ « لن أستطيع مساعدتك إن كذبت على .. لماذا ذكرت اسم (كيفين هنيسيف) لى الأسبوع الماضى ؟ أعرف أنه ليس هنا وأنه هرب .. »

قال (لاسى) بهدوء :

ـ « إنه هنا .. »

ـ « لو كان فد هرب فلماذا عاد ؟ »

هذه المرة بدأ الدمع يغزو عينى الفتى ، وقال :

ـ « إنه لم يفر قط .. »

ـ « ماذا ؟ لم يفر ؟ »

- « لقد دبر كل شىء .. إنه حاذق جدًا .. لكنك لن تصدقنى وسوف تكون هذه النهاية .. سيسمع أنك عرفت .. إنه فى كل مكان .. والجدران لاتهمه .. الموتى لايبالون بأشياء كهذه .. يمكنه أن يأتى ويذهب متى أراد .. »

قال (ردمان) :

- « هل تقول إن (هنيسيف) ميت ؟ كن حذرًا يا (لاسى) .. »

كان الفتى مترددًا .. كان يعرف أنه يمشى على حبل مشدود ، وأنه اقترب جدًا من خسارة حامية .. قال فجأة فى برود :

- « أنت وعدت .. »

- « وعدتك أن أحدًا لن يؤذيك ، لكن ليس معنى هذا أن تطعمنى الأكاذيب .. »

- « أية أكاذيب ؟ »

- « (هنيسيف) لم يمت .. »

- « بل مات ياسيدى .. كلهم يعرف هذا .. لقد شنق نفسه عند الخنازير .. »

كان (ردمان) قد جرب جميع أنواع الكذب مع محترفين ، وقد اعتبر نفسه خبيرًا فى معرفة الكذاب .. لكن الفتى بدا صادقًا .. شعر بهذا فى عظامه ..

لكن هذا لايعنى أن الفتى يقول الحقيقة .. ربما يقولها كما يعتقدها ..

- « لو كان (هنيسيف) قد مات .. فكيف يمكنه أن يكون هنا ؟ »

- « هل تؤمن بالأشباح ياسيدى ؟ »

يا للبساطة .. (هنيسيف) مات .. (هنيسيف) هنا . إذن (هنيسيف) شبح ..

- « لا يا بنى .. »

- « إذن سترى بنفسك يا سيدى .. سترى .. »

* * *

فى حظيرة الخنازير كانت الخنزيرة جوعى ..

كانت تحكم على سير الأيام بنمو شهوتها للطعام .. كانت رغبات أخرى قد بدت تحتل موضع المسرات القديمة .. كانت قد وجدت نفسها تميل - منذ أول مرة - إلى طعام معين له قوام خاص .. لم يكن طعامًا تريده طيلة الوقت ، لكن من حين لآخر .. وكانت لهذا تقضم أحيانًا اليد التى تطعمها ..

وقفت جوار السور مترقبة ، تنتظر .. بدأ نفاد صبرها يستحيل غضبًا .. وشعر أولادها بهذا فتوتروا .. كان هذا خطرًا ، فهى قد التهمت اثنين من إخوتهم ..

كان هناك صوت خطوات ، ثم ظهر ولدان . كانا عصبيين متوترين ، وكان معهما الحق لأن قصص ألاعيبها كانت عديدة ..

ألم تكن تصدر منها أصوات آدمية من حين لآخر ؟ ألم تكن تجلس أحيانًا على مؤخرتها ؟ ألم تكن تطلب أن يقدم لها الطعام بين الإصبعين الإبهام والسبابة ؟ كل هذا كانت تعمله ..

وأسوأ ..

اليوم كانا خائفين لأنهما لم يحضرا لها اللحم الأبيض الذى تشتهيه .. كان اللحم الذى جلباه فى الطبق ليس مما يروق لها .. إنه لحم خنزير سرقاه ..

إن اللحم الذى يناسبها ، والذى تطلبه بصوت آدمى مخيف .. اللحم الذى يثيرون رعبه حتى تنتفخ عضلاته ، كان تحت الحراسة وسيحتاج الأمر إلى وقت لإعداده ..

فى الوقت ذاته تمنيًا أن تسامحهما وتقبل دموعهما ، ولا تلتهمهما فى لحظة غضب ..

كان أحد الولدين قد أفرغ أمعاءه حين بلغ الحظيرة .. رأته الخنزيرة فبدا عليها الرضا حين رأت خوفه ..

كان غطيطها يقول : أنا أعرف أعرف ....

تعاليا هنا لأحكم عليكما ..

أنا أعرف .. أعرف ..

قدم لها الصبيان الطبق عبر السياج فسألتهما :

ـ « حسـن ؟ »

كان الصوت واضحًا لايمكن أن تخطئـه .. صوتـه يخرج من فم خنزير ..

ـ « ليس هذا ما أردت .. نحن آسفان .. »

وقال الآخر متوترًا :

ـ « سنجلبه لك برغم هذا .. بمجرد أن نستطيع .. »

ـ « لم ليس الليلة ؟ »

ـ « إنه تحت الحماية .. »

وقال الآخر :

ـ « المدرس الجديد .. مستر (ردمان) يحميه .. »

بدا أن الخنزيرة تعرف هذا كله .. تذكرت مواجهة العينين عبر السياج .. إذن هذا هو عدوها .. الرجل العجوز .. لسوف تظفر به ..

بدا عليهما الارتياح حين أدركا أن غضبها اتجه إلى ناحية أخرى ..

قال الصبى الأول :

ـ « هلم .. قدم لها اللحم .. »

أزاح الثانى غطاء الطبق .. كانت رائحـة اللحم كريهـة لكن الخنزيرة راحت تصدر جلبة تدل على الحماسة .. لربما سامحتهما ..

بين إصبعين ناولها الصبى أول قطعة من اللحم فالتهمتها سريعًا .. ثم الثانيـة فالثالثـة .. الأخيرة التهمتها مع أصابعه .. بسرعة ودقة .. سحب أنامله من الحظيرة وصرخ .. وجرى مبتعدًا ..

قالت للصبى الباقى :

ـ « غدًا .. لابد .. لا أريد لحم الخنزير العجوز هذا .. ولكن أريد لحمًا أبيض طازجًا .. »

ـ « نعـم .. »

ـ « ولن أقبل الفشل .. »

ـ « نعـم .. »

ـ « وإلا ذهبت له بنفسى .. سأهاجمه فى فراشه لو أردت .. أريده .. إنه لى .. »

★ ★ ★

ـ « (هنسيف) ميت .. »

تساءلت (ليفرتال) وهى تكتب أحد تقاريرها التى لاتنتهى ..

ـ « هذه فبركة .. مرة يقول الفتى إنه هرب ومرة إنه مات .. لايستطيع نسج قصة متماسكة .. »

ـ « هل انتحر أحدهم هنا من قبل ؟ »

فكرت قليلاً وتوقف قلمها :

ـ « فى عهدى ؟ مرتان لا أحسب أن إحداهما كانت انتحارًا متعمدًا .. كلاهما صرخ طلبًا للعون .. »

ـ « هل كان (هنيسيف) واحد ؟ »

قطبت وجهها وهزت رأسها ..

ـ « (هنسيف) كان غير مستقر بشكل معين .. كان يحسب أنه خالد .. يحسب أنه سوبرمان (نيتشه) .. كان يحتقر العامة .. وكان يفضل تلك الحيوانات فى المزرعة .. »

ـ « هل كان يحب المزرعة ؟ »

كذبت قائلة :

ـ « ليس أكثر من أى فتى آخر .. لكن هذا جزء من البرنامج هنا .. »

كانت الكذبة التى ميزها (ردمان) على الفور تثير لديه أسئلة .. قال (لاسى) إن (هنسيف) انتحر فى حظيرة الخنازير ..

فجأة قالت له :

ـ « اسمع يا (ردمان) .. هناك شعور عام هنا بأنك لاتعنى بأمورك الخاصة .. أنت تريد التدخل فى طريقة عملنا .. وكان عليك أن تدرس الحبال قبل أن تتسلقها .. فى الحقيقة أنت تصنع الأعداء .. »

- « شكرًا على النصيحة .. »

- « هذه المهمة صعبة بما يكفى من دون أعداء .. صدقنى .. »

فى الورشة كان (لاسى) بانتظاره وكانت الساعة السابعة والربع وقد انتهت الدروس .

- « ماذا تفعل هنا ؟ »

- « بانتظارك ياسيدى .. معى خطاب لأمى وأردت أن تعطيها إياه .. »

- « لماذا لاتعطيه للسكرتيرة ؟ مسموح لك بخطابين كل أسبوع .. »

- « هم يطالعونها يا سيدى للتأكد من أننى لم أكتب ما لاينبغى أن أكتبه .. وعندها يحرقون الخطاب .. وهذا الخطاب يحكى عن (كيفين) .. »

- « لاأعتقد أنك تفهم الوضع جيدًا بصدد (كيفين) يا بنى .. »

- « بل هو حقيقى يا سيدى .. إنه داخلها .. »

- « داخل من ؟ عم تتكلم ؟ »

لابد من وجود حدود لصبره مع الفتى .. لقد حان الوقت ..

هنا جاء فتى اسمه (سلاب) يخبره بأن مكالمة هاتف تنتظره عند السكرتيرة .. فنهض وطلب من القادم أن يعنى بـ (لاسى) حتى يعود .. ناوله الفتى الخطاب فوضعه فى جيبه ..

كانت الردهات خالية .. هذا وقت التلفزيون .. سيجلسون مفتونين أمام الجهاز الأبيض والأسود يتابعون الألعاب والقصص البوليسية بأفواه مفتوحة وعقول مغلقة . ينتظرون فقط حتى يظهر مشهد العنف التالى أو تظهر الحسناء التالية .. عندها يصحون من سباتهم ويهللون ويصفرون ، ثم ينسون كل شىء ويعودون إلى تلك الغيبوبة ..

كان المكتب مفتوحًا لكن السكرتيرة لم تكن هناك ..

ولم يكن هناك أحد على الهاتف .. إن من اتصل به قد سئم الانتظار .. وقد سره هذا ..

عاد إلى الورشة شاعرًا بعدم راحة .. كان التلفزيون يطلق ضوضاء عبر الردهة لكن شيئًا ما كان فيه .. الصمت .. نعم هناك ضوضاء لكن لاصفير ولاصياح ..

اتجه (ردمان) إلى هذا الجزء من المبنى حيث أدوات الترفيه .. امرأة تصرخ فى التلفزيون فيرد عليها رجل ما ، ثم يقطع كلامه وابل من الرصاص .. بلغ الحجرة وفتح الباب .

ـ « انحن ! إن معه سلاحًا ! »

كان هذا التلفزيون يكلمه .. وأطلقت رصاصة على الشقراء فماتت جوار الرجل الذى أحبته ..

لكن الغرفة كانت خالية .. كأن المشاهدين وجدوا تسلية أفضل لهذه الليلة ، اتجه للجهاز وأطفأه ، فلما ساد الصمت شعر بأن هناك من يقف على الباب ..

ـ « أنا (سلاب) ياسيدى .. »

ـ « أمرتك أن تبقى مع (لاسى) .. »

ـ « كان عليه أن ينصرف ياسيدى .. »

ـ « انصرف ؟ »

ـ « جرى فلم أستطع اللحاق به .. أنا آسف .. قدماى ليستا على مايرام .. »

هذا حق .. إن (سلاب) يعرج قليلاً ..

ـ « لاتفقد أعصابك يا سيدى .. »

ـ « ابتعد عن طريقى يا (سلاب) .. »

وشعر بيده تغريه بأن يلكم هذا الفتى ..

فجأة سمع صوت (كليك) ووجد مطواة زنبركية تلمس سرته .. لقد كان الفتى يضعها فى حزامه ..

ـ « لاداعى لأن تلحق به ياسيدى .. »

ـ « ماذا تفعل باللّه عليك يا (سلاب) ؟ »



وشعر (ردمان) بنصل المطواة يحدث ثقبًا .. وشعر بالدم يسيل لينزلق إلى أسفل ، إن الفتى لا يمزح ..

ـ « إنها مجرد لعبة .. لعبة .. لاضرر هنالك فاترك (لاسى) وحاله .. »

وشعر (ردمان) بنصل المطواة يحدث ثقبًا .. وشعر بالدم يسيل لينزلق إلى أسفل .. إن الفتى لا يمزح .. إنه ينوى قتله فعلا لو أصر .

ـ « إن (كيفين) يأتى ليلعب من آن لآخر .. »

ـ « (هنيسيف) ؟ »

ـ « نعم .. أنت تحب أن تنادى الناس باسمها الثانى .. هذا يجعلهم يبدون رجالاً ويكفون عن أن يكونوا أطفالا .. لكن (كيفين) كان يكره أن يكون رجلاً .. هل تعرف لماذا ؟ لأن الرجال يموتون ، و(كيفين) كان يعتقد أنه لن يموت أبدًا .. »

ـ « أريد أن ألقاه .. »

ـ « الكل لابد أن يفعل يا سيدى .. فهو يتمتع بشخصية كاريزمية .. »

بسرعة أمسك (ردمان) بمعصم الفتى فكانت استجابة

الأخير بطيئة .. سقطت المطواة ما إن ثنى (ردمان) الرسغ أكثر، فاعتصر عنق الفتى فى وضع الخنق .. وضغط على تفاحة (آدم) ..

- « أين (هنيسيف) ؟ خذنى إليه . »

لكمه الفتى فى موضع الجرح ، فأطلق سبة وكاد يطلق سراح الفتى .. لكنه تماسك وزاد من الضغط على حنجرته .. سالت الدموع على خدى (سلاب) واجدة طريقها بصعوبة فى حقل ألغام الحبوب على وجهه ..

- « يمكننى أن أكرر هذا طيلة اليوم .. فهل ترغب فى هذا ؟ »

ثم ألقى بالفتى ليصدم الجدار ، فيتكور على نفسه فى وضع الجنين ..

- « أين (لاسى) ؟ »

بدأ الفتى يرتجف :

- « وأين تحسبه ؟ لقد ظفر به (كيفين) .. »

- « وأين (كيفين) ؟ »

بدا أن الفتى سيفقد الوعى لكن كانت عنده خطط أخرى .. لقد وثب فى لحظة وسرعان ما كانت المطواة فى يده من جديد .. انقض على (ردمان) فتلافى الطعنة بمقدار شعره ، وسرعان ما كان (سلاب) مكومًا على الأرض من جديد لكن المطواة ظلت فى يده ..

- « الموت لك أيها الخنزير .. الموت لك ! »

وانقض من جديد لكن (ردمان) الشرطى السابق .. ركله فى ساقه المريضة .. هوى الفتى على الجدار .. فهرع (ردمان) يجذبه لكنه تأخر جدًا .. لقد اخترقت المطواة بطن حاملها ، وارتخى جسده ..

قلبه (ردمان) .. لم يكن قد اعتاد الموت المفاجئ .. أن ترحل فجأة كما ترحل صورة التلفزيون عند إغلاقه .. خواء .. لا إشارة ..

مشى فى الردهات التى سادها الصمت الثقيل .. الجرح فى بطنه لم يكن خطيرًا ولم ينزف الكثير ، لكن لديه مشاكل أخطر من الجرح الآن .. هناك لغز يجب أن يفهمه ..

فتح الخطاب الذى كتبه الفتى لأمه ليقرأه فى ضوء الردهة الخافت ..

ـ « ماما .. لقد أطعمونى للخنزير .. لاتصدقيهم لو قالوا لك إننى هربت .. أنا لم أفعل .. أنا أحبك يا ماما .. »

وضع الخطاب فى جيبه ، وراح يركض عبر الحقل .. كان الظلام دامسًا الآن ..

أين هو ؟ لقد ضل الطريق .. لكنه رأى ضوءًا آتيًا من زريبة الخنازير .. كان هناك أشخاص يقفون على شكل سلويت .. يرقبون مشهدًا لا يراه .

لم تكن لدى خطة .. لو كان الجميع مسلحين مثل (سلاب) ويشاركونه ميوله القاتلة ، فهى نهايته .. لم يضايقه هذا .. ترى هل انتهى الأمر ؟

رأى بعض الأشباح تتصرف ، بلا صخب ولا ضحكات .. كأنما هم المشيعون يغادرون جنازة .. الرءوس منكسة مع صمت بليغ ..

كانت هناك شموع عديدة فى حظيرة الخنازير تلقى ضوءًا وهاجًا مفزعًا .. وكان هناك من بقى .. عرف بينهم (ليفرتال) والحارس الذى ركع جوار رأس (لاسى) الجريح ، ثم صوت خطوات .. قدم الخنزير تبعثر القش وثمة من يتكلم لكنه لا يعرف من ..

إن الوقت حرج الآن .. سريعًا ما يعود أحد الفتية إلى المبنى ويجد جثة (سلاب) ويطلق الإنذار .. يجب العثور على (لاسى) بسرعة لو كان العثور عليه ممكنًا ..

رأته (ليفرتال) أولاً .. رفعت رأسها وهزته بتحية .. كأنها كانت تنتظره طيلة الوقت .. ولاحظ أنها حررت شعرها على كتفيها أسود طويلاً جميلاً ..

ـ « (ليفرتال) .. »

ابتسمت له .. وكذا ابتسم الصبى الواقف جوارها ..

سأله :

- « هل أنت (هنيسيف) ؟ »

ضحك الفتى وضحكت هى وقالت :

- « لا (هنيسيف) هنا .. »

وأشارت إلى الحظيرة ..

مشى بضع خطوات نحو الجدار ونظر إلى الداخل متوقعًا أن يرى الخنزير والقش والدم و(لاسى) ..

لكن (لاسى) لم يكن هنا .. فقط الخنزيرة تقف وسط فضلاتها وتنظر لهم ..

وقال الفتى مفسرًا :

- « (هنيسيف) هنا .. لقد أكلته وهو يتكلم من داخلها .. »

وبدت له الفكرة مسلية ..

ضحك (ردمان) وقد أدرك أن حكايات (لاسى) لم تكن من صنعه .. لقد قال له الأولاد إن الخنزير ممسوس ..

- « هل شنق (هنيسيف) نفسه فى الزريبة كما قال (لاسى) ؟ »

هزة رأس .

الآن بدأ يفهم .. كان يرى بعين الخيال الخنزيرة تتشمم جثة (هنيسيف) .. تبدأ فى التهامه .. وسرعان ما اخترع الفتية الخائفون هذه الأسطورة ، وحولوا الخنزيرة إلى وثن يلتهم البشر ، وراحوا يقيمون هذه الطقوس العجيبة بالشموع .. ويقومون .. بتقديم (لاسى) كقربان .. لهذا يمكن فهم استسلام (لاسى) لمصيره .. ماما .. لقد أطعمونى لخنزير .. وليس ماما ساعدينى ..

كان يتصرف كعذارى الأضحيات لدى الشعوب الوثنية .. والسبب واضح .. هؤلاء الفتية جهلة لم ينالوا أى قسط من التعليم ..

لكن هذا لايفسر دور (ليفرتال) فى الأمر ..

قال لها :

ـ « هذا مجرد خنزير بالنسبة لى .. »

ـ « لكنه يتكلم بصوت (هنيسيف) .. ستسمعه يا بنى .. »

ـ « وأين (لاسى) ؟ »

قال الفتى :

ـ « إنه فى الداخل مع (هنيسيف) .. لو أردت أن تسترده فعليك أن تدخل وتأتى به .. »

ثم انقض على عنق (ردمان) .. شعرت الخنزيرة بهذا فراحت تبعثر القش وتضرب السياج .. تخلص (ردمان) من الفتى وألقى به على الأرض فقط لتنقض عليه (ليفرتال) :

ـ « أنت تريده .. ادخل وخذه .. »

حاول التخلص منها لكنها تشبثت به بقوة، وراحت تضربه برأسها ..

حدث الباقى بسرعة ..

لقد لمس شعرها لهب شمعة فاحترق .. صرخت وحاولت التملص لكنها ضربت السياج فانهار، وعلى الفور اشتعل القش فى الزريبة ..

الآن وقد اشتعل القش من حولها ظلت الخنزيرة مجرد خنزيرة .. لا معجزات .. لا كلمات .. راحت تصرخ وتركل بأقدامها .. وانتشرت رائحة اللحم المشوى إذ أمسكت النار بخصرها ..

كانت تبدو كالكابوس وهى تجرى مشتعلة فى الحقل .. صراخها صراخ خنزير وهى تجرى فى الحقل لتغيب فى الظلام .

فرك (ردمان) عينيه بسبب الدخان، ودخل الحظيرة ..

كان (لاسى) هناك راقدًا على الأرض .. كان حيًّا والدموع فى عينيه .. حاول أن ينهضه لكن الفتى كان متصلبًا حتى اضطر إلى أن يدلك أطرافه كى تلين قليلاً ..

ـ « هلم .. ستكون بخير .. هلم .. »

ثم نظر لأعلى فوجد شيئًا معلقًا من خطاف .. كان هذا ما تبقى من جثة (هنيسيف) منذ التهمتها الخنزيرة بادئة بالقدمين .. لولا الدخان لكانت الرائحة شنيعة ..

غادر الاثنان المكان بينما زريبة الخنازير تتحول إلى شعلة نار .. وكانت كل خطوة تحسن من حالة الفتى أكثر ..

حاول (ردمان) ألا يفكر فى الخنزيرة ، لابد أنها ماتت الآن .. لكنه كان يشعر بالأرض ترتج كلما مشيا كأنما هناك شىء ما يقفو أثرهما ..

بلغا المبنى الرئيسى أخيرًا ..

حان الوقت للعثور على هاتف وطلب الشرطة ..

كان الممر مظلمًا لأن هناك من هشم المصباح الكهربى .. أما الهاتف فى غرفة السكرتيرة فكان محطمًا .. فى هذه اللحظة تصرف (لاسى) بسرعة .. عضه فى يده وانطلق يجرى هاربًا من المكان ..

مشى (ردمان) عبر الممر قاصدًا مكتب الحاكم .. هناك هاتف ، وهو لن يترك التخريب يعوقه ..

كان الباب موصدًا بلا مفتاح .. لهذا تحامل على نفسه وضربه بكتفه عدة مرات ، كان متينًا من نوع جيد ، وقد انفتح الجرح فى بطن (ردمان) من جديد .. إلى أن تمكن من تهشم الباب والدخول ..

كانت أرض المكتب مغطاة بالقش .. والرائحة جعلت رائحة الزريبة رائعة بالمقارنة .. كان الحاكم على مكتبه ميتًا وقد التهم قلبه .

- « الخنزير .. »

قالها (ردمان) وهو يمد يده للهاتف ..

هنا تلقى الضربة على صدغه .. هشمت عظام وجنته واهتزت الغرفة وابيضت ..

الآن لم يعد هناك ظلام .. لقد أضىء الممر بآلاف الشموع .. لكنه لم يكن واثقًا من حواسه .. ربما كانت شمعة واحدة يراها هو كأنها ألوف ..

كان يرى أشخاصًا يتكلمون .. لايعرف مايقولون ولا إن كانوا موجودين أصلاً ..

هل هو واقف على قدميه ؟ لايعرف .. لكنه لم يسقط على الأرض ..

ثم سمع لهاث الخنزيرة .. ورآها تبرز فى ضوء شمعة .. لقد تفحمت تمامًا .. تمشى نحوه ببطء .. وعلى ظهرها كان الفتى (لاسى) مغمض العينين .. يتكلم كأنما هو فى غيبوبة .. وأدرك (ردمان) فى رعب أن هناك ذيلاً يتدلى من مؤخرة الفتى .. ذيل خنزير ..

هنا فهم (ردمان) لماذا لم يسقط على وجهه .. لقد كان هناك حبل حول عنقه ، وكلما تحرك كان الحبل يضيق أكثر .. ثم إذا به يرتفع إلى الهواء .. لم يكن هناك ألم بل ما هو أسوأ .. الرعب ..

رفعت الخنزيرة عينيها المشوهتين اللتين لاتريان لأعلى ..

سره أنها تعذبت وسوف تتعذب حتى تموت .. هذا يكفيه .. ثم انفتح فم الخنزيرة وتكلمت .. لايعرف كيف خرجت الكلمات منها لكنها كانت كلمات صبى :

ـ « هذا هو قدر الوحش .. أن يأكل وأن يؤكل .. »

وابتسمت ..

وبرغم أن (ردمان) كان يظن نفسه فقد الشعور ، فإن أولى صدمات الألم جعلته يصرخ ، إذ تسلق (لاسى) على جسده .. وبدأ يلتهمه .

* * *

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

روايات عالمية للجيب

كتب الدم

46

في كتب الدم حكايات لا كأي حكايات .. في كتب الدم تعرف كل شيء عن تلك المسابقة الرهيبة التي تدور بين سكان مدينتين يوغوسلافيتين ، على مرأى من سائحين بريطانيين مذعورين .. في كتب الدم تقرأ عن الجزار الذي يجول في الأنفاق تحت (نيويورك) ليلاً مؤديًا عمله ببراعة .. في كتب الدم تقرأ عن الياترنج الذي يحاول أن يصيب (جاك) بالجنون ، وعن سر سجن الأحداث الذي يعلمه الجميع ويتحاشون الكلام عنه ....

في كتب الدم تقابل أحد أقطاب الرعب المعاصرين ، وهو (كليف باركر) ..

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



العدد القادم
أوديسا الفضاء

الثمن في مصر ٢٥٠ قرشًا
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم